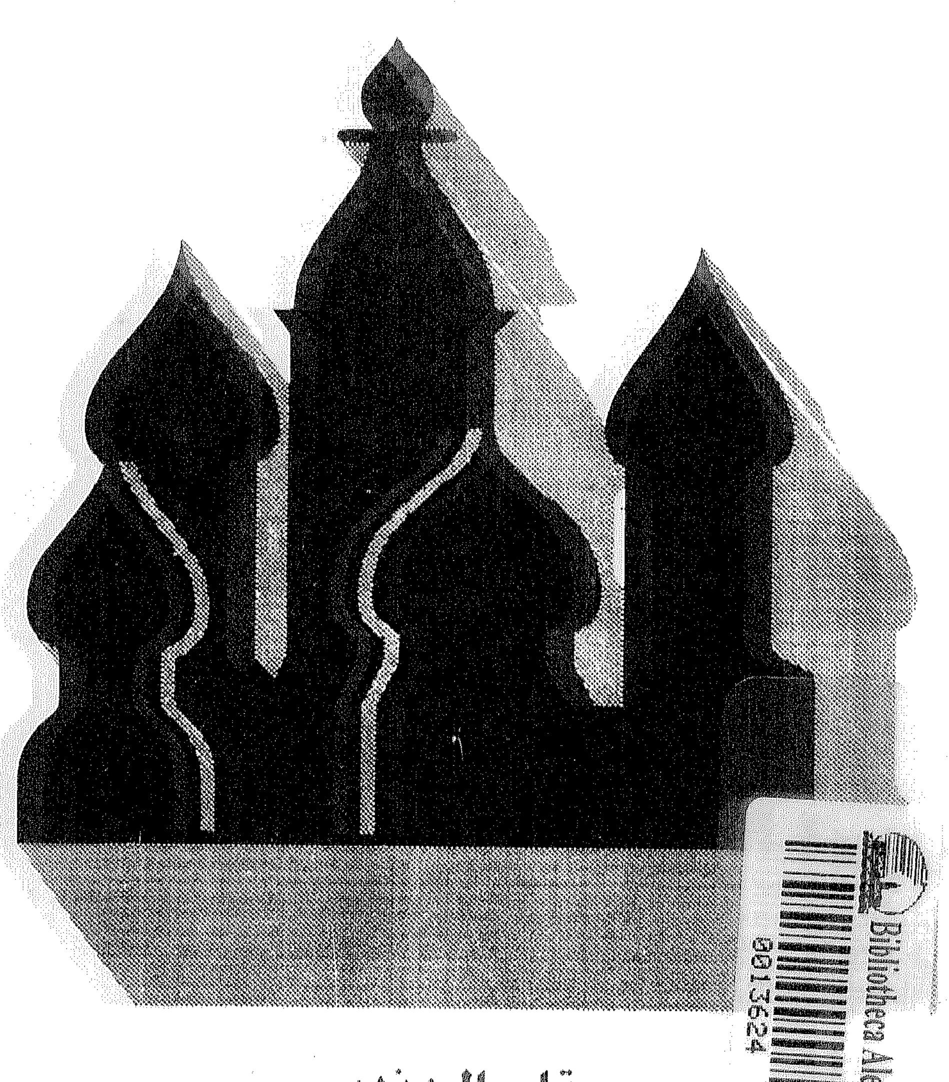
تساؤلات مذهبية



بقلم المهندس

عبد الحكيم مشوح السلوم



تساؤلات مذهبية

بقلم المهندس
عبد الحكيم مشوح السلوم

تساؤلات مذهبية

بقلم المهندس: عبد الحكيم مشوح السلّوم

الطبعة الأولى ١٥٠٠ نسخة

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

موافقة وزارة الإعلام في الجمهورية العربية السورية

رقم ٤٢٣٤٤ تاريخ ٢٤/٦/١٩٩٨

تنفيـذ

مطبعة تركمـاني

☎ ٢٢٢٠١٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم*

مالك يوم الدين *إياك نعبد وإياك نستعين

*اهدنا الصراط المستقيم *صراط الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين* صدق الله العظيم



الإهداء

إلى سيدي شباب أهل الجنة، إلى سبط الرسول وشهيد- كربلاء منارة النور والعطاء أقول له: يا سيدي الجليل المعرفة رأس مالك، والعقل أصل دينك، والحب أساسك، والشوق مركبك، وذكر الله أنيسك، والثقة كنزك، والحزن رفيقك، والعلم سلاحك، والصبر رداؤك، والرضى غنيمتك، والفقر فخرك، والزهد حرفتك، واليقين قوتك، والصدق شفيعك، والطاعة حسبك، والجهاد خلقك، وقرة عينيك في الصلاة.




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤلف في سطور

بقلم الدكتور عبد المجيد الفاتح – الخرطوم – السودان

ولد المهندس عبد الحكيم بن مشوح السلوم في الجولان – قرية واسط – عام ١٩٦٥ – القطاع الشمالي ، حيث تبعد هذه القرية عن القنيطرة ما يقارب ١١ كم .

كان جده الشيخ زعل إبراهيم السلوم زعيم قبيلة آل عجرمة ، وبعد وفاته أصبح ابنه مشوح السلوم زعيم هذه القبيلة .

وعلى أثر العدوان الإسرائيلي الغاشم على سوريا الحبيبة عام ١٩٦٧ نزحوا إلى دمشق واستقروا فيها .

أتم دراسته الابتدائية في مدرسة (المناضل) دمشق . أما الإعدادية والثانوية في (ثانوية تل الفخار) باب توما – دمشق ، والجامعية في كلية الهندسة الميكانيكية والكهربائية في جامعة دمشق .

والأخ المهندس عبد الحكيم على الرغم من حداثة سنه وصغر عمره له سمات إنسانية رفيعة ولديه البذور الدينية قوية منذ نعومة أظفاره حيث كان يذهب في كل جمعة إلى خطيب وإمام مسجد ليسمع الشيء الجديد الذي يأتي به .

ودائما يكرس معظم وقته للسؤال ويعشق البحث الديني والتساؤلات المذهبية .

وأيضا كان يتساءل ويقول ويردد حديث رسول الله (ص):

((ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة أثنتان وسبعون في النار إلا واحدة ناجية)). فمن حقي ومن حق أي مسلم معرفة الفرقة الناجية وأتصور الآن أنه لو أحسن الناس استقبال هذا الكتاب الذي جاء بتساؤلات مذهبية فإنهم يحسنون إلى أنفسهم وإلى الحقيقة وإلى عقيدتهم، وقد تبدو ثورة السلوم في هذا السفر المتواضع ثورة إصلاحية فكرية إسلامية توصل القارىء إلى بر الأمان وإلى شاطيء السلام، وما جاء به فإنه تصحيح لبعض المفاهيم التي أكل الزمان عليها وشرب. وتصحيح لبعض التراكمات التاريخية المغلوكة، التي حاول من خلال بحثه هذا التغلغل إلى جوهر تلك المفاهيم.

والسلوم بهذا السفر المتواضع أراد أن يبين للقارىء حقائق وثوابت وركائز لم تتغير ولم تندثر رغم التغطيات الإعلامية.

ونحن - مع أختلافنا مع المؤلف في بعض مواقفه وتحليلاته إلا أننا كما قلنا في مقال سابق ننظر إليه على أنه قام بتصحيح بعض المفاهيم والتراكمات التاريخية، التي قام بها الفيلسوف الألماني مارتن لوثر في تصحيح بعض المفاهيم في المذهب البروتستانتي بإحتجاجه ضد هيمنة الكنيسة في العصور الوسطى الأوروبية والتي كانت عاملاً منشطاً للإصلاح الديني في عصر النهضة.

وأما السلوم الإنسان:

فإنني أقول له: ((إن العلماء ورثة الأنبياء)).

كما قال رسولنا الأعظم وأنت سائر في هذا الطريق إن شاء الله فعليك أن تحتمل في سبيل دعوتك هذه وتساؤلاتك المطروحـــة ممـــا احتمل الأنبياء .

وأقول لك :

((لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها))

أقول هذا وأنا أعلم بقدرتك الكبيرة على الصبر ، بل أكثر من ذلـــك الفقر الذي تعانيه .

وإني على ثقة أنك في خندق سوف تحميه صدور الملايـــين والله سبحانه كاف عبده الذي يختاره للتصدر وللكتابة ولقول الحق فيـا أيها الكاتب العظيم لقد أديت الأمانة ، وما عليك بعد ذلك من تثريب

ويكفيك أن تسمع قول إمامنا العظيم علي بن أبي طالب (ع) :

((لا يسأل الجهلاء: لما لم يعلموا؟ وإنما يسأل العلماء: لِمَ؟ لِمَ؟ يعلموا؟))

وأنت قد علمت وأشهدت

فطبت حيا وميتا والله ناصرك

وهو القوي العزيـــــــــــــــز

عبد المجيد الفاتح

**** **** ****



لماذا هذا الكتاب؟؟

إن الحقائق الكبرى ذات حجج بالغة، وآيات مبصرات بالغة النفاذ فبمجرد تذكرة العقل بها يستوعبها قلب البشر، ويشهدها وجدانه.

ولكن السؤال: كيف ومع ذلك يرتاب فيها المرتابون، وهي لا ريب فيها، وكيف يماري فيها المجادلون، وهي بالغة الوضوح؟

الله وأسماءه الحسنى، النشور وآياته في النفس والآفاق الرسالة ودلائلها البينات، إنها ابرز الحقائق، وهي في ذات الوقت - محور ريب الكفار، ومدار جدل المرتابين، لماذا؟

ولذلك علينا في هذا المجال أن ننمي في الجماهير القدرة على انتزاع الأفكار الرئيسية، والحصول على جوهر ولباب الموضوعات التي تقرأ، أو التي تسمع؛ لكي يقوموا باستخراج الفكرة الحقيقية، لا أن يصب اهتمامهم على الظواهر، ومثل هذا العمل يعد قدرة ومهارة كبيرتين في عالم الثقافة لا يتسنى لكل شخص الحصول عليها، أي أن هذه المرحلة تعتبر مرحلة متقدمة من القدرة على البحث، فليس كل إنسان قادراً على اكتشاف وتحديد ما يقصده الطرف الآخر، فهناك بعض الكتاب والمتكلمين يمتلكون قدراً من الذكاء يساعدهم على أن يخفوا أفكارهم الحقيقية، فلا يصرحوا بها بل يوحون بها إيماء ليقتنع القارئ بأفكارهم من دون تمحيص، فإذا ما استطعنا اكتشاف خلفيات أحاديث الآخرين، ومرتكزاتهم الفكرية فإننا سنكون قد وصلنا إلى مرحلة متقدمة من القدرة على تقييم الثقافات المختلفة.

دمشق ٢٤/ ٣/ ١٩٩٨

بقلم المهندس السوري

عبد الحكيم مشوح السلوم



الباب الأول

أضواء



الفصل الأول

الأخلاق

مدخل :

لئن حاولت الخوض في سر الحكمة من تعدد المذاهب الإسلامية فأني على يقين بأن السر يبقى سرا لا ينال كنهه إنسان ، لأن معرفة السر الحقيقية تبقى رهن أصحابه وتستعصي كل متطاول عليه . فالسر في محاولتنا سبر أغواره ، نبقى دونه . والمؤمن الذي نشأ عليه ، وتعود أساليبه ومارس رموزه ، وهتك ألغازه ، يتخطى قدرة أي طارئ عليه من الخارج . فلا خوف على هتك حرمة السر أذن .وادعاؤنا معرفته يبقى رغبة لا تتحقق . ومعرفتنا له تبقى محاولة فاشلة ، لكن لابد منها .

العلاج :

إن سر الحكمة من تعددية المذاهب الإسلامية يتعلق بسر التوحيد . وعلى الجميع أن يطمحوا إلى التوحيد ، وينهلوا من غناه ، وينتفعوا منه ويصبحوا من أهله ، وكل الخير أن يسعى الكل إلى التوحيد ، ويستفيدوا من الحكمة الدالة عليه . إن البحث عن التوحيد كان هم العالم منذ سحيق الأيام ولا يزال . وعلى من وجد سره أن يفيد غيره .

ـ فبذلك تهون المصاعب ، وتتقرر سعادة البشر ، وتشمل المعرفة ، وتعم المحبة ، ويكتمل الخلاص ، الكل مدعو ، في مطلق الأحوال ، إلى اكتشاف الحقيقة .

اكتشاف سر الآخرين :

من مهمات الإنسان الكبرى في هذا الوجود أن يسعى إلى اكتشاف أسرار هذا الكون . وقد توصل بالفعل إلى التنعم بما اكتشف ، وهو يدأب إليه باستمرار . أما المهمة العظمى فهي أن يسعى الانسان إلى اكتشاف سر نفسه وكتناه سر الآخرين ، وبهذا فقط تكون المشاركة والمحبة ، ويكون التفاهم والتعاون ، وتكون السعادة والخير العظيم . فلي مطمع بمعرفة سواي ، ومسعى حثيث في اكتشاف سره ، لتكون لي حظوة بمحبته ، وسعادة بالسعي معا صوب الحق .

الصدق :

إن من أهم الحكمة في الإيمان وأعظمها وأجلها الصدق ، فمن كان يزعم إنه مؤمن ... ولا يكون صادقاً .. كان مدعي الإيمان ، مستعمل الشرك ، فمن لم يكن صادقا بلسانه فهو بالقلب أكثر نفاقا .

واعلموا أن الصدق هو الايمان بكماله ، والكذب هو الشرك والضلالة ... من واجب علماء الأمة وحكمائها أن يقيموا الصدق مع جميع الناس لتعم الثقة المتبادلة ، ويتعاون الجميع لأجل الخير وشمول المعرفة ومن حق الجميع أن ينعموا بثقة علمائهم وصدقهم .

الحكمة :

من شأن الحكمة أن تضع نفسها في خدمة الجميع ولصالح الجميع ، لا أن تقتصر على قسم منهم وتمنع القسم الآخر من خيرها العميم . ومن واجبها أيضاً أن تدعو الجميع إليها وتصنع منهم كلهم أهلها ومستحقيها ، لا أن تتبنى بعضهم وترذل بعضهم الآخر ، والكل يمكنهم ، إذا ما توفرت لهم الحكمة ، أن يكونوا من أهلها . فالطبقية بين البشر ، بالنسبة

إلى قبول الحكمة ، غير جائزة . والحكمة تحارب مثـــل هـــذه الطبقيـــة ، وترغب في أن يكون الجميع في مستواها .

الديـــــــن :

من شأن كل دين أن يدعو جميع الناس إلى الدخول فيه ، وإلى نيـل الخلاص باتباع مسالكه . وقد تختلف دعوة كل دين عن سواه . ولكـــــن الأديان كلها تريد من كل البشر أن يكونوا مستجيبين دعوتها .

الســـــــر :

إن السر في جوهره وحقيقته مجموعة عقائد ومعـــارف تكشـــف خفاياها فتبدو خفايا أخرى . وكلما عالجت مظهرا منها بانت لك مظـاهر أخرى كثيرة . فالسر في تحديده وفي مفهومه الديني غني لا يفتقر ، وكلمـــا عالجته ، وتمت في ثناياه ، زدته غنى ، وزادك غناه .

العدالـــــة :

إن العدالة من الصفات القائمة بالنفس التي تعرف بآثارها كـــأداء الفرائض وتجنب المحرمات و منافيات المروءة وغير ذلك مما يكشف غالبـــا عن وجود تلك القوة الرافعة على العمل بالواجبات وتـــرك المحرمـــات ، وتحري الحق والواجب في جميع الأفعال والمعاملات ، فلا بد والحالة هـــذه من تتبع أحوال الراوي في أكثر حالاته ليصبح الحكم عليـــه بالعدالـــة أو عدمها .

وقال الدكتور صبحي الصالح :((ولا ريب أن العدالة شيء زائد علـــى مجرد التظاهر بالدين والورع، لا تعرف ألا بتتبع الأفعال واختبار التصرفات لتكون صورة صادقة عن الراوي)) .[1]

---

[1] – انظر ص ١٣٣ من علوم الحديث .

الخلاصـــــــــة :

يكفيني من هذه الحجج أنني أريد أن أعرف وأريد أن أعلـــن مـــا أعرف وأريد أن أشرك سواي بما أعرف . فمن حق الإنسان أن يعرف ، ومن عرف واقتنع من حقه أن يحقق ما اقتنع به ورغب فيــه . وإذا ما كانت الرغبة في المعرفة تتعلق بالخلاص والمصير الأخير وجب الســـعي إليها .

***　　***　　***

الفصل الثاني

آراء

في البدء :

كثيرا من الحقائق والمسلمات تستحيل إلى خرافة ووهم ، حين يستفرغ المرء وسعه ويسلخ بعض الوقت في التنقيب عن جذور تلك الحقائق ومصدرها . فكثيرا ما تكون العواطف والأهواء والنزعات هي العامل الأقوى وراء شيوع قضية ما واستحكامها وفرض نفسها لتشغل لها مكانا بين الثوابت والمسلمات .

كل ذلك بسبب من وجود من يحرص على أن تأخذ قضية معينة حجما أكبر من ذاتها ، ومكانة أعظم مما تستحق . أضف إلى ذلك فقدان المقياس الحقيقي المستند إلى العقل ، وتعتيم الواقع في تحديد المسائل وإعطائها الموقع المناسب . ولابد أن نضيف ، أن للتقليد الأعمى وعدم تكليف المرء نفسه عناء التحقق في قبول ما اشتهر على الألسن وبطون الكتب ، دورا في تثبيت المسلمات التي لا واقع لها ، وما يتبادر أنها حقائق لا تقبل النقاش .وإن الدراسة بالشكل الذي بين يديك لم تحط بجميع الزوايا التي ينفذ من خلالها إلى الواقع ، فكثير من المواضيع لم يأت عليها قلم الدراسة وظلت بعيدة عنها .

ما بين هذا وذاك :

هناك إسرافا في التهم وغلو لا مبرر له من السنة والشيعة في أحكامهم على الفقهاء والمحدثين من الفريقين ، ذلك الغلو الذي اتخذ طابع التعصب الطائفي الذي أطاح بالقيم واحدث فجوة بينهما فرقتهم شيعا و احزاباً ، وأصبحوا ينظرون من هذه الزاوية وحدها إلى آثارهم ومؤلفاتهم

على اختلاف أنواعها ومقاصدها ، مع العلم بأن تلك المؤلفات وبخاصة ما ألفه الفريقان في الحديث يمكن الاستفادة منه والاعتماد عليه إلى أبعد الحدود ما دام ينتهي في واقعه إلى مصدر واحد وهو الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي يروي عنه الفريقان السنة بوسائطهم ، والشيعة بواسطة أئمتهم عليهم السلام وغيرهم من الموثوقين ولكنهم بدلا من دراستها دراسة واعية شاملة بقصد الاستفادة منها وتصفيتها انكمش كل فريق على مؤلفاته وآثاره ، واتهم الآخر بالتعصب والانحراف عن الحق ونبذ كل منهما ما عند الآخر من ثروة فكرية يمكن الاستفادة منها إلى أبعد الحدود .

أجل أقول ذلك وبين يدي كتابان من كتب الحديث وهما الصحيح للبخاري والكافي للكليني ولست مبالغا اذا قلت بأنهما من أوثق الكتب في موضوع الحديث عند السنة والشيعة وأغناها بالآثار الإسلامية التي تناولت جميع الشؤون الإسلامية وأمدت الفكر بالإنتاج والإبداع في مختلف المواضيع ، ذلك لأن ما جاء به الإسلام من القوانين والأنظمة والأخلاق والآداب وغير ذلك من المناهج التربوية والاجتماعية وضع أصول هذه المناهج وقواعدها القرآن أولا ، وتعهدت السنة بتفاصيلها وتوضيح مشكلاتها ومجملاتها ، وستبقى السنة إلى جانب القرآن مصدرا غنيا بتلك الثروة التي تمد الإسلام بالخلود والبقاء حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ومهما كان الحال فقد ألف الشيعة في الحديث عشرات الكتب خلال القرون الثلاثة من الهجرة وكانت هذه الكتب مصدرا للكتب الأربعة التي ألفها الكليني والصدوق والطوسي في القرنين الرابع والخامس .

وبجمل القول هو أنني قد أخذت على نفسي في الدراسات الـــتي تضمنها هذا الكتاب أن لا أجامل أحدا ولا أحابي فريقاً مـــهما كـــانت النتيجة ، ولا أقول إلا ما أعتقد أنه الحق .

*** *** ***



الباب الثاني

الأمام جعفر الصادق (ع) والمذاهب الأربعة



الفصـــل الأول

الحـــديث والمحدثـــــون

ما هو الحديث ؟

الحديث في اللغة : هو الجديد ، ومطلق القول [١]، وفي المصطلـــح الحديثي عبارة عن : أقوال وأفعال ، وتقرير المعصوم ، وهو عند السنة النبي صلى الله عليه وسلم ،.وعند الشيعة بالإضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الائمة الاثنا عشر عليهم السلام من بعده .

يقول ابن حجر : ((المراد بالحديث في عرف الشرع ما أضيـف إلى النبي ، وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم)).[٢]

متـــن الحديث :

متن الحديث هو نفس قول المعصوم وتقريره ، وألفاظه التي تتقـــوم بها المعاني .

سند الحديـــــث :

يطلق هذا التعبير على سلسلة الأشخاص الذين وصـــــل الحديـــث عبرهم .

الســـــنة :

السنة في اللغة : ((الطريقة والسيرة .وإذا أطلقت في الشرع فإنمـــا يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه ، وندب إليه قـــولا ،

---

(١) ـ " لولا قومك حديثو عهد بالاسلام " الحديث النبوي ـ" إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً" الكهف :٦

(٢) ـ مقدمة فتح الباري .

وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز)) .[1] وللملازمة الموجودة بين الحديث والسنة ، تطلق السنة على نفس الحديث أيضا ، وتستعمل غالبا بهذا المعنى .

أهمية الحديث في المنظار القرآني :

يعتبر القرآن والحديث ، حجر الزاوية في تشريع الأحكام والقوانين الاسلامية ، بيد أن حاجة المسلمين — لالتماس الحكم الشرعي — إلى السنة، من بين هاتين الدعامتين أكثر من نظيرها : القرآن .

ذلك ، أن آيات الأحكام في القرآن معدودة ، وعلى الرأي المشهور، فهي لا تتجاوز الخمسمائة آية ، والاقتصار عليها دون الرجوع إلى السنة ، لا يمكن ، وذلك :

أولا – لأن هذه الآيات تحتمل الأجمال والإطلاق ، وهو الأمر الذي لا يتكفل بحله إلا السنة .

ثانيا – أن آيات الأحكام لا تلبي الحاجة ، في تحديد الوظيفة الشرعية لكل الحالات والمواقف التي يواجهها المسلم ، فهي لا تبين إلا جزءا ضئيلا من أحكام المكلف . ومن هنا كانت ضرورة الأخذ بالسنة واعتبار الحديث الصحيح حجة ، ولا تجوز مخالفته كما لا تجوز مخالفة القرآن ، وقد أتفق على هذا الرأي المسلمون كافة ، سنة وشيعة ، وقد جاء في القرآن الكريم : ((ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا)) .[2]

---

[1] – النهاية لابن الأثير ، ج ٢ ن ص ٤٠٩ .

[2] – الحشر : ٧

وهو يعتبر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم موازية لطاعة الله عز وجل وبنفس الدرجة من الأهمية [1] وخطر على المسلمين أي الخروج على أوامره صلى الله عليه وسلم [2] واعتبر التسليم لأوامره رمزا للطاعة ، وعصيانها رمزا للضلالة والغواية . [3]

هذا مضمون نبذة من الآيات التي تدعو إلى الانقياد ، وإطاعة الأوامر النبوية وتعبر عنها بتعابير مختلفة ، تنتهي أخيرا إلى المعنى المذكور . فالانقياد إليه لا يمكن إلا بالالتزام بسنته ، والعمل على وفقها .

أهمية السنة بالمنظار النبوي :

ليست قليلة ، تلك الروايات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل بيته الكرام ، التي تؤكد على أهمية الحديث وتشير إلى شتى الجوانب المرتبطة بالسنة ، من الحفظ ، والكتابة ، والتبليغ ، والإيصال إلى الآخرين .

وقد جاء في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

((معاشر الناس ، وكل حلال دللتكم عليه ، أو حرام نهيتكم عنه ، فإني لم أرجع عن ذلك و لم أبدل)) . [4]

وقد أكد النبي تأكيدا بالغاً على حفظ الحديث واستيعابه ، وإبلاغه للآخرين ، فقال :

---

[1] – (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء : ٨٠

[2] – (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء : ٦٥ .

[3] – (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا) الأحزاب : ٣٧ .

[4] – الاحتجاج للطبرسي ، ج ١، ص ٨١ .

((نضر الله عبدا سمع مقالتي فبلغها)) .[1]

((نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها)) [2]وكان يكرر كثيرا من القول : ((فليبلغ الشاهد الغائب)) .

كل هذا التأكيد والتذكير ، يدل على أن موقع الحديث والسنة ، بمكان من الخطورة ونستلهم منه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بتبين جميع الأحكام الشرعية ، وما يرتبط بها ، ويرى ضرورة إبلاغها للآخرين وأنها وظيفة شرعية تقع على عاتق السامعين .[3]

تاريخ تدوين الحديث :

طبقا لما تفيده الروايات الصحيحة ، فإن تدوين الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان آمرا مسموحا به ، وقد كتب آنذاك مجموعة من الأحاديث ، وكان أحد كتاب الحديث هو عبد الله بن عمرو بن العاص [4] ، وكان أكثر الصحابة يدونون الحديث ويحتفظون به .

***   ***   ***   ***

---

(1) – سنن إبن ماجة ، المقدمة .

(2) – المرجع السابق .

(3) – من لايحضره الفقيه – باب النوادر ، وصحيح البخاري ج١ ، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب .

(4) – صحيح البخاري ، ج ١ باب كتابة العلم .

الفصـــل الثانـــــي

- حياة البخاري :

- من هو البخاري ؟

هو الامام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بـــــن برذزبه الجعفي [1] البخاري .

- مولـــــده :

ولد البخاري في شوال سنة ١٩٤ هـــ ببخـــارى ، وحســـب ماينقله ابن خلكان ، فهو ينحدر من عائلة مجوسية ، إذ أن جده الثـــالث ، برذزبه كان مجوسيا ، ومات على دينه .[2]

- نشوءه وطلبه العلم :

فقد البخاري على عهد الطفولة أباه فعاش يتيما في كنف أمـــه ، التي قامت بتربيته ، والعناية به ، والإشراف عليه . وفي العاشرة من عمره ، اشتغل بطلب العلم ، وما أن أكمل العشرين من عمره ، حتى غادر موطنه وارتحل يطلب الحديث .

- أسفاره العلميـــــــة

كان البخاري مولع في الحديث ، وشغف كبير ، ورغبة جامحة في تحصيل العلم والمعرفة ، مما كان لهما الأثر الكبير ، في إعلاء همته ، ودفعـــه

---

[1] – نسبة البخاري إلى سعيد بن جعفر الجعفي والي خراسان ، وكان له عليه الولاء فنسب إليه . وفيات الأعيان، ج ٣ ، ص ٣٣١ ، المعرب .

[2] – وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

لمواصلة الدرب في طلب الحديث . فأناخ برحلـــه في مـــدن عديـــدة ، وحواضر كثيرة ، يطلب فيها الحديث ويجمعه .

يقول فريد وجدي ((كان البخاري بعيد الهمة في تحري صحيـــح الأحاديث جاب من أجلها الأمصار وكابر الأخطار ، فرحل إلى خراســـان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وهو في كل هذه الأقطـــار يلاقي الحفاظ ويجالس المحدثين ، فيسمع منهم ، ويأخذ عنهم)) .[1]

وينقل ابن حجر عن البخاري قوله :

(دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين .[2]

مصنفات البخاري :

اختلف الحفاظ في نقل مؤلفات البخاري .إلا أن المشهور أنهـــا لا تتجاوز (١٧) كتابا في مختلف المواضيع ، من الحديث والرجال والتـــاريخ وغيره إلا أن كتابه ((الصحيح)) أو ((الجامع الصحيح)) يعد أهمها على الإطلاق .

---

(١) – دائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ، مادة بخر.

(٢) – هدي الساري ج٢ ، وقال العسقلاني في مقدمته : (إن الذي حرك همة البخاري لجمع الحديث الصحيح ماسمعه من أسحاق بن راهويه . قال أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري : كنا عند إسحاق ابن راهويه ، فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح) مقدمة فتح الباري – المعرب .

تاريخ ظهور الصحاح :

بعد أن قضى علم الحديث فترة طويلة من الزمن ، لا تمتد إليه يـد ، ولا تطاله الأعناق ، بدأت مرحلة التحرك آخذة في الصعود والازدهـار، وكانت ردة الفعل بالسماح بتدوينه هي التي أدت إلى ظهور (١٥٠-٢٥٠) كتاب حديثي ، في فترة زمنية قصيرة لاتزيد على القرن ، كلـها تحمل اسم الصحاح ، والمسانيد ، والمستخرجات وو ..... .[1]

في هذه الفترة التي لم يكن للمؤلفين فيها هدف سوى جمع الحديث بمختلف أصنافه وأقسامه ، والعمل على تدوينه ، لم يكن هنـاك تقسـيم للحديث يعرف إلى الصحيح ، والحسن ، والضعيف . فكانت مؤلفاتهم ومسانيدهم تحوي مختلف أنواع الحديث ، من غـير تميـيز بـين الصحيح وغيره ، حتى جاء عصر البخاري من أرباب الصحاح .

يقول ابن حجـــر :

((فلما رأى البخاري رضي الله عنه هذه التصانيف، ورواهـا ، وانتشق رياها ، واستجلى محياها ، وجدها بحسب الوضع جامعة بين مـا يدخل تحت الصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف ، فـلا يقال لغثه سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيـه أمين)) .[2] ومن بعد البخاري ، قام تلميذه مسلم بن الحجاج القشـيري والنيسابوري (المتوفى ٢٦١ هـ) بتأليف كتابه الذي اسمـاه (الجـامع الصحيح) ومـن بعـده جاء محمـد بن يزيـد بـن ماجـه القزويـني

---

[1] – يذكر صاحب كشف الظنون من المسانيد أربعين مسندا ، من بينها مسند الامام احمد الذي يحوي أربعين ألف حديث .

[2] – هدى الساري ، ج ١ ، ص ٤ .

(المتوفى ٢٧٣ هـ) ليدون سننه . ثم تلاه أبو داود سليمان بن داود السجستاني (المتوفى ٢٧٥هـ)ووضع كتابه المعروف : (سنن أبي داود) ثم محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى ٢٧٩هـ) صنف كتابه الجامع المعروف بـ (جامع الترمذي) وفي الوقت ذاته عكف أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى ٢٧٩هـ) على تدوين سننه المعروفة بـ (سنن النسائي) والذي يطلق عليه أحيانا (المجتبى) هذه الكتب الستة ، تعتبر المرجع الرئيسي والمصدر الأساسي للسنة . فهم يثقون بما جاء فيها ، ويبنون عليها عقائدهم في التوحيد ، والفزوع ، والتفسير ، وتاريخ الصدر الأول من الإسلام ، وهي تعرف بالصحاح الستة ، ويطلق تارة على مصنفي البخاري ومسلم (الصحيحين) وعلى الكتب الأربعة الأخرى (السنن) وبعد هذه الكتب ، وضعت مئات الكتب ، في مجال الحديث باسم المسند ، والمستدرك ، والمستخرج إلا أن أيا منها لم يصل إلى ما وصلت إليه الكتب الستة المذكورة .

ما الفرق بين الصحاح والمسانيد :

يطلق (الصحيح) في اصطلاح علماء الحديث ، على الحديث الذي تم سنده عبر أشخاص عدول ومتدينين ، منتهيا إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم أو أحد الأئمة عليه السلام [1]، ولما كانت الكتب الستة ، ألفها كتابها على شرط صحة ما احتوته كتبهم وما جاء فيها ، بالنظر إلى الرواية وسند الرواية ونصها ، فقد أطلق عليها عنوان (الصحاح) بالرغم من اختلاف أربابها في شروط الصحة . فمن الممكن أن يكون هناك حديث

---

[1] ـ هذا التعريف يمثل رأي الشيعة والسنة .

يعتبره أحدهم صحيحا ، والآخر لا يراه كذلك ، ولكن بالنسبة إلى رأي كل منهم فإن ما جاء في هذه الصحاح ، ونقل في مطاويها يطابق ما اعتبر من شروط الصحة في ناقل الحديث تماما . بينما بقية الكتب والمسانيد الأخرى لم تصل إلى هذا الحد من الصحة ، ولم يلتزم مؤلفوها بصحة كل ما جاء في كتبهم ، ولم يكن هدفهم سوى جمع الحديث من غير تميز بين الصحيح وغيره ، حتى إن أحمد بن حنبل الذي ينقل في مسنده ما يقارب أربعين ألف حديث ، لا يلتزم بصحة كل ما جاء فيه[1].

بين البخاري والامام الصادق :

إن البخاري قد خرّج الأحاديث الكثيرة ولكن لم يرو عن الإمام الصادق عليه السلام حتى حديثا واحدا .

يتبين هذا الأمر واضحاً جلياً ، حين نمعن النظر ونستجلب الانتباه إلى الظروف والملابسات التي كانت تكتنف حياة وبيئة شخصية كل من الإمام الصادق عليه السلام ، والبخاري إذ :

1. كان عصر البخاري متقاربا مع عصر الإمام الصادق عليه السلام فقد توفي بمائة سنة بعد الإمام الصادق .[2]
2. عاش البخاري ست سنوات لأخذ الحديث في الحجاز وهي معقل الإمام الصادق عليه السلام ، ومهد جامعته الإسلامية الكبرى ، وتردد كثيرا على بغداد والكوفة ، حتى إنه لم يحص عدد سفراته إلى هاتين الحاضرتين ، لكثرة تردده إليهما . وكان عدد تلاميذ الإمام عليه السلام

---

[1] – راجع (التقريب) للنووي ص ١-٢

[2] – توفي الامام الصادق سنة (١٤٨ هـ) وكانت وفاة البخاري سنة (٢٥٦ هـ) .

آنذاك في الحجاز والعراق ، قد تجاوز حد الإحصاء ، وقد ذاع صيتـــه ، وانتشر ذكره في كافة الأرجاء ، وطرقت مكانته العلمية السامية سمـــع كافة المحدثين ، و لم يكن بالمقدور لأحد أن يدعي لنفسه يداً في الفقـــه والحديث ، دون أن يطلع على مرتبة الإمام الصادق الرفيعـــة ووزنـــه العلمي الشامخ .

٣. وقد خرج البخاري أحاديث تلامذة الإمام الصادق عليه الســـلام مثل: عبد الوهاب الثقفي ، وخاتم بن إسماعيل ، ومالك بـــن أنـــس ووهب بن خالد الثقفي . مع العلم بأن الامام جعفر الصـــادق عليـــه السلام لم يكن شخصا مجهولا من حيث العلـــم والفضـــل والتقـــوى والنسب. و لم تكن أيضاً شخصيته ضعيفة لتتهاوى أمام الجرح وتفقـــد بريقها العلمي وسماها الرفيعة البارزة .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان للبخاري باع طويل في علم الرجال ومـــن أجل ذلك وضع كتابه :(التاريخ) (راجع ضحى الاســـلام ج ٢ ، ص ١١٢) .

٤. أيضا لم يرو البخاري للإمام الجواد ولا للإمام الهـــادي ، ولا للإمـــام العسكري والذي كان معاصرا للبخاري حتى ولا حديث واحد .

تدوين الحديث على عهد الإمام الصادق (ع) :

إن العلماء والمحققين يختلفون اختلافا كبيرا حـــول أول مـــن دون الحديث عند الجمهور . ولاثبات دعواهم ، بأن تدوين الحديث كان علـــى عهد عمر بن عبد العزيز ، لم يتمكنوا من العثور على دليل مقنع في هـــذا المجال ، حتى قـــيل : إن أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج ،

وقبل موطأ مالك بن أنس . وقيل إن أول من صنف وبوب الربيع بن صبيح بالبصـــرة . [1]

إلا أنه وعلى أثر الفرصة القصيرة ، التي سنحت في عـــهد الإمـــام الصادق (ع) (٨٣- ١٤٨ هـ) وهي الفترة الانتقاليـــة بـــين العـــهد الأموي، والعهد العباسي ، استطاع الإمام (ع) أن يصعد بعلم الحديـــث ، وتدوينه إلى ذراه وأقصى مراحله العالية . حتى بلغ عدد تلاميـذه (٤٠٠٠) أربعة آلاف شخص .

*** *** *** ***

---

[1] - كشف الظنون ، ج ١، ص ٦٣٧ باب علم الحديث .

هـــــدفنا :

حتى الآن عرضنا نبذة مختصرة عن تاريخ الحديث ، من حيث النقل وطريقة التدوين ، منذ زمن النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام وحتى عـــهد خلافة عمر بن عبد العزيز ، وبالاستناد إلى الأدلة ، والشواهد الموثوقـــة ، اتضح من كل ما سردناه : النقطتين الأساسيتين التاليتين :

١. إن تدوين الحديث عند السنة بدء بعد فترة طويلة جدا من تـــاريخ صدور الحديث تقارب القرن . و لم يكن هناك أثر لتدوين الحديث قبـل الصحاح أو بقليل قبلها . وكان جل اعتماد المؤلفين علـــى الذاكـــرة البشرية ، وما تتناوله الألسن .

٢. في الفترة التي حظر فيها تدوين الحديث كثرت الدواعي إلى وضـــع الحديث وكثر الوضاعون على رسول الله صلى الله عليه وســـلمَ . وعلى أي حال ، فبعد انقضاء فترة زمنية طويلة تقـــدر ب (١-٥ر١) قرن بدأ تدوين الحديث ، بعد أن تراكـــم عليـــه غبـــار النسيان .

*** *** *** ***

الفصل الثالث

حياة الإمام الصادق (ع)

المدخل :

أما الجانب الأول فنحن فيه على اتفاق تام ، وذلك لأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لم تدون في حياته إلا ما روي عن صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومن ثم لابد من أن يخضع الحديث سنداً ومتناً للنقد النزيه ، فما وافق منه القرآن الكريم وروح السيرة النبوية العطرة جزمنا بصحته ، وما كان بعيدا عنهما صار موضع نظر ، وهنا يأتي فقط الخلاف بين نقاد الحديث .

وأما الجانب الثاني - وهو الذي يتلخص – ظاهرا في إعراض البخاري عن الأحاديث المروية عن أئمة آل بيت النبوة فإني أرى فيه رأياً أن هذا الأعراض عن أحاديث هؤلاء السادة هو من أفعال القلوب التي لا تستطيع الحكم عليها إلا بعد الاستقصاء التام ، وكما نستطيع أن نقول : إن إعراضه عن الأحاديث المروية عن الأئمة كان آتيا بدافع عدم التوثيق ، نستطيع – بلا شك ولا ريب أن نقول :

إنه امتنع عن روايتها خوفاً من حكام العباسيين الذين كانوا يناصبون آل محمد العداء . وهو يعلم أنه لو روى عنهم لأهمل كتابه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لقضي عليه وقبر وهو في مهده .

*** *** ***

الإمام الصادق (ع) بين العهدين :

ولادة الإمام الصادق :

في عهد عبد الملك بن مروان ولد الإمام ابو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام في ليلة الجمعة في السابع عشر من ربيع الأول سنة (٨٢ هـ) ولد في حجر الرسالة ، ونشأ في بيت النبوة ، وترعرع في ربوع الوحي ، وتربى بين جده زين العابدين وأبيه الباقر عليه السلام . أقام مع جده علي بن الحسين اثنتي عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة سنة ، وعلى رواية المدائني ستة عشرة سنة ، وأخذ عنه في حياته وتربى في مدرسته . وبدون شك أن جده زين العابدين هو أفضل الهاشميين ، وسيد أهل البيت في عصره وأعلم الأمة في زمانه واورعهم وأصدقهم حديثا ، وبعد وفاة جده تفرد بتربيته أبوه الباقر عليه السلام وهو في علمه وورعه ، فنشأ الامام تلك النشأة الصالحة وهو خليفة أبيه وعاشر أباه بعد وفاة جده تسع عشرة سنة .

نشأة الإمام الصادق (ع) :

نشأ الصادق في عصر تتنازع فيه الأهواء وتضطرب فيه الأفكار وأدرك الإمام الصادق ثلاث سنين من خلافة عبد الملك وتسع سنين وثمانية أشهر من خلافة الوليد بن عبد الملك ، وثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام من خلافة سليمان ، وسنتين وخمسة أشهر من خلافة عمر بن عبد العزيز ، أربع سنوات وشهرا من خلافة يزيد بن عبد الملك ، وعشرين سنة من خلافة هشام بن عبد الملك ، وسنة واحدة من خلافة الوليد بن يزيد ، وستة أشهر من خلافة يزيد بن الوليد ، وبعده لم يبق خليفة

للأمويين بعينه لكثرة الاضطرابات حتى زال ملكهم في سنة ١٣٢ هـ .
كل هذه الأدوار شاهدها الإمام الصادق (ع) ، وهو يعيش وأهل بيته بتلك الدائرة الضيقة محاطاً بالرقابة .

عصر الإمام الصادق (ع) :

كانت نشأة الإمام الصادق عليه السلام نشأة خشونة وملاقاة مصائب ، وكان بيته في تلك الفترة كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء والكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام ، فكان يحضر مجلس درسه في أغلب الأوقات ألفان وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين.[1]

وكان يؤم مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية ، لرفع الرقابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها ، ومن كل قبيلة ،فمن بني أسد ، ومخارق ، وطي وسليم ، وغطفان ، وغفار ، والازد ، وخزاعة ، وخثعم ، وبني ضبه ، ومن قريش ، ولاسيما بني الحارث بن عبد المطلب ، وبني الحسن بن الحسن بن علي .[2]

ونقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريج ، ومالك بن أنس ، والثوري ، وابن عينية ، وأبي حنيفة ، وشعبة ، وأيوب السجستاني ، وغيرهم ، وعدوا أخذهم منه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها .[3]

---

(1) – مجلة رسالة الإسلام العدد /٤/السنة ٦ .

(2) – كتاب جعفر بن محمد لسيد الأهل .

(3) – كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

ونالت مدرسة الصادق شهرة عظيمة ففي تلك الفترة السعيدة،كان هو زعيم الحركة الفكرية في ذلك العصر ، ويعتبر في الواقع أنه أول من أسس المدارس الفلسفية في الإسلام ، ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب ، بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية .[1]

هذا ما يتعلق بالعهد الأول من حياته وهو العهد الأموي على سبيل الإجمال .

شخصية الإمام الصادق :

إن أقوال العلماء في الإمام الصادق :

((في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه))[2] المنصور الروانيقي .

إن جعفرا كان ممن قال الله فيه : (ثم أورثنا الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا) ، وكان ممن اصطفاه الله وكان من السابقين في الخيرات [3] المنصور الروانيقي .

((وانه ليس من أهل بيت إلا وفيهم محدث وان جعفر بن محمد محدثنا اليوم)) .[4]

[1] – تاريخ العرب للسيد مير علي الهندي ، ص ١٧٩ .

[2] – مناقب ابن شهراشوب ، ج ٢ ، ص ١٤٧

[3] – اليعقوبي ، ج ٣، ص١٧٧.

[4] – المناقب ، ج ٢ ، ص ٣٠٢

((جعفر بن محمد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال ، إما مصل ، وإما صائم ، وإما يقرأ القرآن)) مالك بن أنس .[1]

((وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا))[2] مالك بن أنس .

((كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين))[3] عمر ابن المقدام.

ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور بعث ألي فقال : يا أبا حنيفة ان الناس — قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد فهيأت له اربعين مسألة ، ثم بعث الي أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه ، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه وأومأ إلي فجلست ثم التفت إليه فقال : يا أبا عبد الله هذا أبا حنيفة .

قال جعفر : نغم . ثم اتبعها قد أتانا كأنه كره ما يقول فيه قوم انه رأى الرجل عرفه ، ثم التفت المنصور الي فقال : يا أبا حنيفة ألق على أبي عبدالله من مسائلك . فجعلت ألقي عليه فيجيبني ، فيقول : انتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما تابعهم وربما خالفنا

---

(١) — التهذيب

(٢) — تهذيب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٣) — المرجع نفسه .

جمعيا حتى أتيت على الأربعين مسألة ثم قال أبو حنيفة : ألسنا روينـــا أن اعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس))[1]أبو حنيفة .

((جعفر بن محمد هو من علماء أهل البيت وساداتهم ، ذو علـــوم جمة ،وعبادة موفورة ، وأوراد متواصلة ، وزهادة بينة ، وتلاوة كثـــيرة ، يتتبع معاني القرآن ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجائبه ، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفســـه ، رؤيتـــه تذكـــر بالآخرة ، واستماع كلامه يزهد في الدنيا ، والاقتداء بهديه يورث الجنـــة ، نور قسماته شاهد انه من سلالة النبوة ، وطهارة أفعاله تصدع انه من ذرية الرسالة ، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة مـــن أعيـــان الأمـــة وأعلامهم ، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن جريج ، ومالك بن أنـــس ، والثوري ، وابن عيينة ، وأيوب السجستاني ، وغيرهم ، وعدوا أخذهـــم منه منقبة شرفوا بها فضيلة اكتسبوها))[2] كمال الديـــن بـــن طلحـــة الشافعي .

((جعفر بن محمد ، الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه ، ويقال : أن أبا حنيفة من تلامذته ، وكـــذلك سفيان الثوري ، وحسبك بهما في هـــذا الباب))[3]أبو بحر الجاحظ .

---

[1] – مناقب ابي حنيفة للموفق ج ١، ص ١٧٣ وجامع اسانيد أبي حنيفة ج١ ، ص ٢٢٢ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص ١٥٧

[2] –مطالب السؤول ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

[3] – رسائل الجاحظ للسندوبي ، ص ١٠٦ .

((جعفر بن محمد بن علـــي بـــن الحسين علـــي بن أبي طــــالب فقيه صدوق))[1] ابن حجر العسقلاني .

الإمام جعفر الصادق عليه السلام بن محمد الباقر بن زين العـــابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب السادس من الأئمة الأثني عشر والدتــه أم فروة كريمة القاسم بن محمد ابن ابي بكر رضي الله عنه . ولد الإمام جعفــر في المدينة المنورة سنة ٨٢ هــ وهو أكبر أولاد الإمام محمد الباقر وتلمــــذ على والده فريد زمانه في العلم والفضل ، استمر علـــى حلقـــة تدريـــس وإفادات جعفر الصادق الإمام الأعظم أبو حنيفة واســـــتفاد منـــه أولا في المعارف الظاهرية والباطنية ، وكان للإمام اليد الطولى في الجفر والكيميـاء والإلمام بسائر العلوم ، وكان ممن تتلمذ على الإمام موجد فـــن الكيميـــاء جابر، لم يكن له نضير في الزهد ، والتقوى ، والقناعة ، وحسن الأخلاق، ولصدق حسبه سمي بالصادق . كان أبو جعفر المنصـــــور ثـــاني خلفـــاء العباسيين يدعو إلى تعظيم الإمام وتكريمه ويســـــتنير بآرائـــه وإرشـــاداته ونصائحه ، وعرض أبو مسلم الخرساني الخلافة ابتداء على الإمام جعفـــــر الصادق فلم يقبلها ، كان له من الأولاد سبعة أبناء وثلاث بنات ، توفي في سنة (١٤٨ هــ) عن عمر ناهز (٦٥ سنة) في المدينة المنورة ودفن بجـوار جده ووالدته .[2]

((جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبـــان وانتشر صيته في جميع البلدان وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد،

---

[1] تقريب التهذيب ص ٦٨ .

[2] قاموس الأعلام تأليف ش سامي ،ج٣، ص ١٨٢١، استانبول وقد ترجمت الكلمة عن اللغة التركية .

وابن جريج ، ومالك ، والسفيانين ، وأبي حنيفة ، وشعبة ، وأيوب السجستاني))[1] أحمد بن حجر الهيثمي .

((جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو ذو علم غزير وأدب كامل في الحكمة وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة قط ، ولانازع في الخلافة أحدا ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يقع في شط ، ومن تعلا إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط)) [2]أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .

ويقول الألوسي : ((وهذا أبو حنيفة وهو من أهل السنة يفتخر ويقول بأفصح لسان لولا السنتان لهلك النعمان)) يعني السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق .[3]

مدرسة الامام الصادق :

ليس من المبالغة والخروج عن الواقع وصف مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بأنها جامعة إسلامية ، خلفت ثروة علمية وخرجت عددا وافرا من رجال العلم ، وأنجبت خيرة المفكرين وصفوه الفلاسفة وجهابذة العلماء وعلى كل حال فإن مدرسة الإمام الصادق كانت بعيدة عن التأثر بآراء الحكام الذين يفرضون إرادتهم على العلم والعلماء ، ويحاولون أن تكون لهم السلطة الدينية إلى جانب السلطة التنفيذية . وقد بذل الخليفة المنصور كل ما في وسعه لجلب رضا الإمام الصادق والفوز بمسايرته له ولكنه لم يفلح

---

[1] الصواعق المحرقة ، ص ١٢٠ .

[2] – الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٧٢، ط ٢ .

[3] – التحفة الاثني عشرية ، ص ٨ .

فقد أعلن مقاطعته وأوعز إلى أصحابه ذلك ، فسارت مدرسته على ذلك الاستقلال الروحي ، ونالت تلك الشهرة العظيمة ، وخلفت ذلك التراث الثمين والمجد العلمي ، وان الحضارة الإسلامية مدينة لها بالتطور والخلود .

- تأثير فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام على فقه أئمة المذاهب الأربعة :

ولابد هنا من سرد مختصر عن أئمة المذاهب الأربعة :

١. المذهب الحنفي :

ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي ، من أهل كابل أو من أهل نسا ، وكان اسمه عتيك بن زوطرة ، وكان أبوه عبدا مملوكا لرجل من ربيعة من بني تميم الله بن ثعلبة من فخذ يقال لهم بني قفل ولد سنة (٨٠ هـ) في نسا ، وتوفي سنة (١٥٠هـ) في بغداد .

وإذا نظرنا إلى مقومات المذهب في نفسه نجد ذلك يرجع لجهود أربعة من أصحاب أبي حنيفة فانهم الفوا فيه وهذبوا مسائله ، وليس لأبي حنيفة الا المشاركة في الرأي أحيانا ، فأول أولئك النفر هو أبو يوسف القاضي ، فقد خدم المذهب في قوة سلطانية وفي تصنيف الكتب وتبويب المسائل ، وقد أدخل الحديث في فقه أبي حنيفة ، وألف كتاب الخراج لهارون الرشيد مستنبطا من الحديث على مذهب مالك والثاني محمد بن الحسن الشيباني مولاهم المتولد سنة (١٣٢هـ) والمتوفي في سنة (١٨٩هـ) .

نشأ بالكوفة وعاش تحت ظل الدولة العباسية ، أدرك أبا حنيفة و لم ينتفع منه لحداثة سنه ، فأتم المذهب على أبي يوسف ، وكان ذا فطنة

وذكاء ، وأصبح المرجع الأول فيه ، فإن الحنفية ليس بأيديهم إلا كتبه ، وخرج إلى المدينة ولقي مالكا وقرأ الموطأ عليه ، ثم إلى بلده فطبق مذهب أصحابه على الموطأ مسأله [1]ونظم الفقه وخالف أبا حنيفة في اكثر مسائله.

والثالث زفر بن الهذيل المتولد سنة (١١٠ هـ) كان من أهل الرأي وكان أقيس أصحاب ابي حنيفة .

والرابع الحسن بن زياد اللؤلؤي مولى الأنصار درس على أبي حنيفة ثم على أبي يوسف وعلى محمد بعده ، وصنف الكتب في مذهب ابي حنيفة .

فهؤلاء الأربعة هم دعاة رقي المذهب وسعة دائرته .

٢. المذهب المالكي :

ينسب إلى الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي ولد سنة (٩٣ هـ) بالمدينة وحملت به أمه سنتين وقيل أكثر وتوفي سنة (١٧٩هـ) والله أعلم .

وكان من نتائج النزاع الذي حدث بين أهل العراق وأهل المدينة ، أو أهل الحديث وأهل الرأي ظهور شخصية أبي حنيفة في العراق ومالك في الحجاز وكان مالك ممن انضم لجانب العلويين ، وأخذ العلم عن الإمام الصادق ، وقد أمره المنصور بوضع كتاب وسماه الموطأ .[2]

---

[1] – رسالة الأنصاف ، ص ٨ .

[2] – شرح الموطأ للزرقاني ، ج ١ ، ص ٨ .

قال ابن حـــزم : مذهبان انتشـــرا في مبـــدأ أمرهمـــا بالرياســـة والسلطان مذهب ابي حنيفة فإنه لما ولي أبو يوسف القضاة كان لايـــولي قاضيا إلا من أصحابه والمنتسبين إليه وإلى مذهبه .

والثاني مذهب مالك عندنا في الأندلس فان يحى بن يحيى [1]كـــان مكينا عند السلطان مقبولا في القضاء ، فكان لا يولي قاضيا في أقطـــار الأندلس إلا بمشورته واختياره ولا يسر إلا بأصحابه ، والناس ســـراع إلى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم [2]وقال شاه ولي الدهلوي : وأي مذهب كان أصحابه مشهورين وأسند إليهم القضـــاء والإفتـــاء واشتهرت تصانيفهم في الناس ، ودرسوا درسا ظاهرا انتشـــر في أقطـــار الأرض ، وأي مذهب كان أصحابه خاملين و لم يولوا القضاء والإفتـــاء ، و لم يرغب فيهم الناس اندرس مذهبهم بعد حين .

وهذا التعليل قد أجمعت عليه آراء المؤرخين والعلماء حتى لقد شاع بين الناس قولهم ((إن الناس على دين ملوكهم)) .

٣. المذهب الشافعي :

وينسب إلى الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شـــافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ، وقيل أن شـــافعا كان مولى لأبي لهب .

---

[1] — هو أبو محمد يحى بن يحى الاندلسي ويعرف بابن عيسى سمع مالك بن أنس وجمع مسائله وكتب سماع بن القاسم عن مالك ثم أنصرف إلى المدينة ليسمعه من مالك فوجده عليلا فأقام بالمدينة إلى أن توفي مالك وقدم إلى الاندلس وخالف مالك في كثير من المسائل توفي سنة ٢٣٣ هـــ .

[2] ابن خلكان ،ج ٢ ، ص ١١٦ .

ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (١٩٨ هـ) كان ظهوره أولا بمصر وكثر أصحابه هناك وعظمت شوكته في عهد الدولة الأيوبية التي كانت تتسم سمة شافعية ، وبذلوا جهدهم في نصرته ببناء المدارس لفقهاء الشافعية واختصاص القضاء لهم ، وكان الغالب على أهل مصر الشيعه في عهد الفاطيين الذين كانوا يملكون مصر قبله ، وكان المذهب يدرس في الجامع الازهر وغيره ، فأبطل صلاح الدين درسه فيها وأحيا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك ، وبنى لهم كثيرا من المدارس .

وكان قدوم الشافعي إلى مصر في سنة (١٩٨هـ) ويقال أنه جاء مع أميرها عبدا لله بن عباس بن موسى العباسي ، فصحبه جماعة من أعيان أهل مصر كبني عبد الحكم والربيع بن سليمان ، وأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني ، والبويطي وكتبوا عنه ونشروا مذهبه .

٤. المذهب الحنبلي :

ينسب إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس ابن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن ذهل ابن شيبان ولد سنة (١٦٤هـ)في بغداد وتوفي سنة (٢٤١هـ) فيها .

ظهر مذهب أحمد بن حنبل ببغداد وهو آخر المذاهب لتأخره زمنا في الحدوث .

قال ابن خلدون :فأما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وعداد احمد بن حنبل عند القدماء أنه من أهل الحديث لا الفقهاء .

وكان ابن جرير يقول : انه رجل حديث لا رجل فقـــه ، ولم يذكره ابن قتيبة في معارفه في عداد الفقهاء .

والحاصل أن المذهب الحنبلي أقل المذاهب انتشارا وقـــد عـــد متبعوه هذه القلة فخرا ولم ينل المذهب الحنبلي قوة أنصار ورحال دعـــوة إلا في البلاد النجدية فقد ساعد الزمن وكتب له البقاء على يد محمد بـــن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي .

آراء حول الاجتهاد والتقليد :

((إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة))
مالك بن أنس

((إذا صـــح الحديـــث بخـــلاف قـــولي فـــاضربوا بقـــولي الحائـــــــط)) .الشافعي .

((هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي غير هـــذا قبلناه . حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي)) .أبو حنيفة .

((من ضيق علم الرجال أن يقلدوا الرجال ، لاتقلد دينـــك الرجال فانهم لن يسلموا من أن يغلطوا وقيل له لم لا تضـــع لاصحـــابك كتابا في الفقه قال لأحد كلام مع كلام الله ورسوله)) . أحمد بن حنبل

((لا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو أمـــام ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا مبينا وخرج عن دين الله)) .
محي الدين بن العربي

سئل الشيخ تقي الدين بن تيمية عن رجل تفقه على مذهب مـــن المذاهب وتبصر فيه ، واشتغل بعده بالحديث فوجد أحاديث صحيحـــة ،

لايعلم لها ناسخا ولا مخصصا ولا معارضا وذلك المذهب فيه ما يخـــالف تلك الأحاديث ، فهل له العمل بالمذهب ، أو يجب عليه الرجــوع إلى العمل بالحديث و مخالفة مذهبه ؟ فأجاب بما هذا نصه :

الحمد لله رب العالمين قد ثبت في الكتاب والسنة والاجماع أن الله افترض على العباد طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، و لم يوجــب على هذه الامة طاعة أحد بعينه في كل ما أمر به ونهى عنه إلا رســول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان صديق الأمة وأفضلها بعد نبيـــها عليـــه الصلاة والسلام ، ورضي الله عنه يقول : أطيعوني ما أطعت الله ، فـــإذا عصيت الله عز وجل فلا طاعة لي عليكم . واتفق كلهم على أنه ليـــس أحد معصوما في كل ما أمر الله به ونهى عنه إلا رسول الله ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله عليـــه الصلاة والسلام . وهؤلاء الائمة الأربع رحمهم الله تعالى أجمعين قد نهــوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه وذلك هو الواجب ، قال الامام أبو حنيفة : هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي خير منه قبلنـــاه ولهذا لما اجتمع أفضل أصحابه أبو يوسف بإمام دار الهجرة مالك بــــن أنس وسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضراوات ، ومسألة الأجناس ،

فأخبر مالك بما دلت عليه السنة في ذلك . فقال أبـــو يوســف رجعت لقولك يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي ما رأيـــت لرجـــع كمـــا رجعت. ومالك رحمه الله كان يقول : إنما أنا بشر أصيـــب وأخطـــئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة ، أو كلام هذا معناه ، والشافعي رحمـــه الله كان يقـــول : إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط ،

وإذا رأيت الحجة موضوعة على طريق قولي . [1] وقال عبد العظيم المكي:

((اعلم أنه لم يكلف الله أحدا من عباده بأن يكون حنفيا أو مالكيا أو شافعيا أو حنبليا ، بل واجب عليهم الإيمان بما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته)) .[2]

ويقول جمال الدين الأفغاني :

((بأي نص سد باب الاجتهاد ، أو أي إمام قال : لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي أن يجتهدوا ليتفقهوا في الدين ، أو أن يهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث ، أو أن يجد ويجتهد بتوسيع مفهومه ، والاستنتاج على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه ، ولا ينافي جوهر النص أن الله بعث محمد رسولا بلسان قومه العربي ليعلمهم ما يريد إفهامهم وليفهموا منه ما يقولوه لهم .

ولا ارتياب بأنه لو فسح في أجل ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وعاشوا إلى اليوم لداموا مجتهدين يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث وكلما زاد تعمقهم زادوا فهما وتدقيقا ، نعم أن أولئك الفحول من الأئمة ورجال الأمة اجتهدوا وأحصنوا فجزاهم الله خير الجزاء ، ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن وتمكنوا من تدوينها في كتبهم)) [3]

---

[1] – جلاء العينين للألوسي ، ص ١٠٧ .

[2] – رسالة القول السديد ، ص ٣ .

[3] – خاطرات جمال الدين ، ص ١٧٧ .

وقال حسن خان :

((من حصر فضل الله على بعض خلقه ، وقصر فهم هذه الشريعة المطهرة على من تقدم عصره ، فقد تجرأ على الله عز وجل ، ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده الذين تعبدهم بالكتاب والسنة ، فإذا كان التعبد بهما مختصا بأهل العصور السابقة و لم يبق لهؤلاء المتأخرين إلا التقليد لمن تقدمهم ولا يتمكنون من معرفة كتاب الله وسنة رسوله فما الدليل على هذه التفرقة الباطلة والمقالة الزائفة ، وهل النسخ إلا هذا ؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم)) .[1]

كلمات حول التقليد :

أما الذين يحاولون الجمود ويلتزمون بالتقليد فإنهم عجزوا عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد واقتنعوا بعناية السلطان على ما هم فيه من النقص ، فلا يروق لهم بلوغ أحد رتبة الاجتهاد ، ونسبوا مدعيه إلى الجنون كما ذهب إليه الشيخ داوود النقشبندي في كتابه ((أشد الجهاد)) حيث يرى أن مدعي الاجتهاد ضال مبتدع .

* وكان أبو الحسن الداركي أحد المجتهدين في عصره إذا سئل عن فتوى يجيب بعد تفكر فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي وأبي حنيفة فينكرون عليه ذلك ، فيقول ويلكم روى فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فالأخذ به أولى من الأخذ بمذهب الشافعي ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث .

---

[1] جلاء العينين للألوسي ، ص ١٠٧ .

الاجتهـــــاد :

الاجتهاد في اللغة : هو بذل الوسع في ما فيه كلفة مأخوذ كمـــا نقل ابن أبي زرعة عن الماوردي .

والفقيه والمجتهد لفظان مترادفان وهو البالغ العاقل ، أبي ذو ملكـــة يدرك بها العلوم وهذه الملكه العقل .

التقليـــــــد :

هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله .

- وقال الشيخ محي الدين في الباب الثامن والثمـــانين مـــن الفتوحات المكيـــة : والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حـــي ولا ميت .

- وقال ابن عابدين الشامي : انه لا يجوز تقليد المفضول مـــع وجود الأفضل .

وبه قالت الحنفية والمالكية والشافعية وأكثر الحنابلـــة ، وعـــن أحمد وطائفة كثيرة من الفقهاء : لا يجوز .

كلمات حول تنازع المذاهـــب :

ويعطينا الخطابي [1] في كتابه معالم السنن صورة عن الخلاف الـــذي حصل بعد المئة الثالثة بين فقهاء المسلمين ومتبعي المذاهب إذ يقول :

---

[1] — هو الشيخ احمد (بفتح الحاء وسكون الميم) بن محمد بن الخطاب الخطابي البسي قال السمياني : كـــان الخطابي حجة صدوقا رحل إلى العراق والحجاز وجال في خرا سان وخرج إلى ما وراء النهر وقال الســـبكي في طبقات الشافعية : كان إماما في الفقه والحديث واللغة ، وقال الذهبي : كان ثقة من أوعيـــة العلـــم ، وقـــال البهنسي : انه من الأعلام المجتهدين في قواعد الأحكام توفي سنة ٣٨٨ هـــ .

رأيت أهل زماننا انقسموا إلى فرقتين: أصحاب حديث وأثر ، وأهل فقه ونظر وظهر التنازع بينهم حيث تجد أصحاب مالك لا يعتمدون في مذهبه إلا على ما كان من رواية ابن القاسم واشهب . فإذا جاءت رواية عبد الله بن الحكم واضرابه لم يكن عندهم طائلا ، وترى أصحاب أبي حنيفة لا يقبلون من الرواية عنه إلا ما حكاه أبو يوسف ومحمد بن الحسن، فإن جاءهم عن الحسن بن زياد اللؤلؤي وذوي روايته قول بخلاف لم يقبلوه و لم يعتمدوه . وكذلك تجد أصحاب الشافعي ، إنما يعولون في مذهبه على رواية المزني، والربيع بن سليمان المرادي ، فإذا جاءت رواية خزيمة والجرمي وأمثالهما لم يلتفتوا إليها ، و لم يعتمدوا بها في أقاويله .

وعلى هذا عادة كل فرقة من العلماء في أحكام مذاهب أئمتهم وأساتذتهم .

التعصب بين المذاهب :

هذه بعض كلمات علماء ذلك العصر أوردناها ليتضح للقارئ سير العلم في تلك الأدوار ، والخلاف الذي أدى إلى الارتباكات التي أحاطت بمفهومه وبلغ الحال إلى تطور مؤلم أدى إلى الطعن في المعتقدات والتطاحن بين المذاهب فأصبحوا متخاصمين في المعتقدات وقد عامل بعضهم بعضا معاملة الخارجين عن الدين حتى قال محمد بن موسى الحنفي قاضي دمشق المتوفى سنة (٥٠٦هـ) : ((لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الشافعية الجزية)) .

ويقول أبو حامد الطوسي المتوفى (٥٦٧ هـ) :

((لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية))

ولعل أئمة المذاهب الثلاثة وعلماءهم : الأحناف والمالكية والحنابلة اكثر تعصبا من الشوافع كما يبدو ذلك من تصريحاتهم ومجاميعهم الفقهية، ومع أن أبا حنيفة كان متحمسا للقياس ويراه من أفضل المصادر بعد كتاب الله فقد كان يقدم رأي الصحابي إذا تعارض في مورد من الموارد . وجاء عنه أنه كان يقول : إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين .

- المذاهب تأخذ من آل البيت :

نلاحظ من خلال دراستنا كيف كانت أئمة المذاهب الأربعة تأخذ عن أهل البيت ، وجعلوا ذلك فخرا لهم وسببا لنجاحهم ، فهذا الامام ابو

حنيفة كان يأخذ بأقوال علي (عليه السلام) حتى جعلوا ذلك من مرجحات مذهبه على غيره من المذاهب .

وكان أبو حنيفة يفتخر بالأخذ عن جعفر الصادق ويقول :

((لولا السنتان لهلك النعمان))

ونرى مالك بن أنس هو أحد تلاميذ الإمام الصادق ، وعنه أخذ الشافعي وأخذ أحمد بن حنبل عنه .

- **مواقف الإمام الصادق (عليه السلام) في الحكم الأموي :**

قضى الإمام الصادق خمسين عاما من عمره في العهد الأموي أي من سنة (٨٣هـ إلى سنة ١٣٣ هـ) وهي السنة التي زال فيها سلطان الأمويين وقام على أنقاضه سلطان بني العباس . وراح الصادق يؤدي رسالته ليعالج إصلاح الوضع من طريق الهداية والإرشاد ونشر تعاليم الإسلام ، وإفهام الناس تلك النظم التي أهملها حكام عصره .

- **موقفه من الحركات الفكرية :**

جاء إليه زنديق وسأله عن أشياء منها أنه قال له : كيف يعبد الله ولم ير ؟ فقال أبو عبد الله : رأته القلوب بنور الايمان ، وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان ، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف من عظمته دون رؤيته . إلى آخر المناظرة .[1]

- وكان الجعد بن درهم من الزنادقة يضل الناس ويغويهم وقد جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهواما فقال : أنا خلقت هذا ، لأني

---

(١) — انظر احتجاج الطبرسي والبحار ، ج ٤ والكافي في احتجاجات الصادق .

كنت سبب كونه .فبلغ ذلك جعفر بن محمد (ع) فقال : ليقل كم هو- وكم الذكر والإناث إن كان خلقه .[1]

موقفه من حركة الغلاة :

كان الإمام جعفر عليه السلام يهتم أشد الاهتمام بأمر الغـلاة ، لأن بعضهم ادعى إن جعفر بن محمد إله — تعالى الله عن قوله — فعظم ذلـــك على الإمام جعفر بن محمد وحاول أن يقدر عليه فلم يقدر ، فأعلن لعنـه والبراءة منه ، وجمع أصحابه وأعلمهم بذلك وكتب إلى جميع البلـــدان بكفره ولعنه والبراءة منه .[2]

وقال الأمام جعفر (ع) : من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله ، ومـن شك في ذلك فعليه لعنة الله .

حثه على التجارة وطلب الرزق :

كانت الحلقات التي تعقد في مدرسة الإمـــام الصـــادق (ع) هـــي الصعيد الذي تنطلق عليه تعاليم الإمام وإرشاداته ، فكان يزرع الفضيلـة في النفوس ويغرس الخير فيها ، فكان يسمي التجارة ودخول السوق العز .

وصايـــاه :

وقد جاء في وصيته لحفص بن غياث[3] قوله : ((إن قـــدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا ، وما عليك إن لم يثن عليك ، وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت عند الله محمودا)) إلى أن قال : ((إن قـــدرت أن لا

---

[1] — لسان الميزان ، ج ٢ ص ١٠٥ .

[2] — دعائم الإسلام ص ٦٢-٦٣ .

[3] — حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي المتوفى سنة ١٩٤ هـــ أحد الأعلام روى عنه الإمام الصادق خرج حديثه أصحاب الصحاح الستة .

تخرج من بيتك فافعل ، فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكـذب ولا تحسد ، ولا ترائي ولا تتصنع ، ولا تداهن ...)) .[1]

وصيته لسفيان الثوري :

الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وترك حديث لم تروه أفضل من روايتك حديثا لم تحصه ، إن على كل حـق حقيقـة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه ومـا خالفـه فدعـوه .[2]

وقال لسفيان :إذا جاءك ما تحب فأكثر من الحمد لله ، وإذا جاءك ما تكره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا استبطأت الرزق فـأكثر مـن الاستغفار .

ولقيه مرة فقال : يا ابن رسول الله أوصيني قـال : ياسـفيان لا مـروة لكذوب ، ولا أخ لملول ، ولا راحة لحسود ،ولا سؤدد لسيئ الخلق .

فقال :يا ابن رسول الله زدني ، قال : يا سفيان ثق بالله تكون مؤمنـا ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا ، وأحسن مجاورة من جـاورك تكـن مسلما ، ولا تصاحب الفاجر يعلمك من فجوره ، وشاور في أمرك الذيـن يخشون الله عز وجل .

فقال : يا ابن رسول الله زدني ، فقال يا سفيان من أراد عزاً بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فلينتقل مـن ذل معصيـة الله إلى عـز طاعتـه .

---

[1] – الوسائل ، ج ٢ ، باب الجهاد .

[2] – تاريخ اليعقوبي ، ج ٣، ص ١١٥ .

وصية لعبد الله بن جندب :

يا ابن جندب صل من قطعك ، واعط من حرمك ، وأحســـن إلى مـــن أساء إليك ، وسلم على من سبك ، وأنصف من خاصمك ، واعف عمن ظلمك كما أنك تحب أن يعفى عنك .

يا ابن جندب لا تتصدقن على أعين الناس يزكـــوك ، فـــإنك ان فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك ، ولكن إذا أعطيت بيمينك فـــلا تطلـــع عليها شمالك ، فإن الذي تقصد قاله سرا يجزيك علانية قد علم ما تريد .[1]

وقال لاصحابـــــــه :

لا يتكلم أحدكم بما لا يعنيه ، وليدع كثيرا فيما يعنيه حتى يجد له موضعا ، فرب متكلم في غير موضعه جنى على نفسه بكلامه ولا يمـــارين أحدكم سفيها ولا حليما ، فإنه من مارى حليما أقصاه ، ومـــن مـــارى سفيها أرداه ، و أذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن مـــا تحبـــون أن تذكروا به إذا غبتم عنه، واعملوا عمل من يعلم أنه مجـــازي بالإحســـان مؤاخذ بالأجرام .

– جوامع الكلـــــــم :

١. اتقوا الظلم فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السماء .
٢. صدقة يحبها الله : إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقارب بينـــهم إذا تباعدوا .
٣. المؤمن حسن المعونة – خفيف المؤونة ، جيد التدبير لمعاشـــه ، ولا يلسع من جحر مرتين .

---

[1] – تحف العقول ، ص ٧٣ – ٧٥ .

٤. إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه .

٥. من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

٦. لاشيء أحسن من الصمت ، ولا عدو أضر من الجهل ، ولا داء أدوى من الكذب .

٧. من كان له عقل كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة .

٨. ثلاثة تورث المحبة : الدين ، والتواضع ، والبذل .

٩. من برئ من ثلاث نال ثلاثة : من برئ من الشر نال العز ، ومن برئ من الكبر نال الكرامة ، ومن بريء من البخل نال الشرف

١٠. ثلاثة مكسبه للبغضاء : النفاق - والعجب ، والظلم .

١١. ثلاثة يحجزون عن طلب المعالي : قصر الهمة ، وقلة الحياء ، وضعف الرأي .

١٢. ثلاثة يجب على كل إنسان تجنبها : مقارنة الأشرار ، ومحادثة النساء ، ومجالسة أهل البدع .

١٣. من رزق ثلاثا نال الغنى الأكبر : القناعة بما أعطى - واليأس مما في أيدي الناس ، وترك الفضول .

١٤. بطانة السلطان ثلاث طبقات : طبقة موافقة للخير ، وهي بركة على السلطان ، وطبقة غايتها المحاماة على ما في أيديها ، فتلك لا محمودة ولا مذمومة ، بل هي إلى الذم أقرب ، وطبقة موافقة للشر وهي مشوهة مذمومة عليها وعلى السلطان .

١٥. الإخوان ثلاثة : مواس بنفسه ، وآخر مواس بماله ، وهما الصادقان في الإخاء وآخر يأخذ منك البلغة ويريدك لبعض اللذة ، فلا تعده من أهل الثقة .

١٦. إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك ، فأغضبه فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلا فلا .

١٧. للمتكلف ثلاث علامات : ينازع من فوقه ، ويقول مالم يعلم ، ويتعاطى مالا ينال .

١٨. لا تخلطن من الناس خمسة : الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، والكذاب فإن كلامه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب ، والفاسق فإنه يبيعك بأكله ، والبخيل فإنه يخذلك في وقت أحوج ما تكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك .

١٩. الانتقاد عداوة ، وقلة الصبر فضيحة ، وإفشاء السر سقوط .

*** *** ***

الخلاصـــــــــة :

ولا بد أن أقول فيه إنه عندما يتفرغ الباحث لدراســــة شـــخصية الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طـــالب دراســـة صحيحة على ضوء الضمير النقي ، والواقع العقلي ، والتجرد العلمـــــي ، متبعا الأصول الحديثة ، مبتعدا عن العاطفة ، ومرض التعصب ، وأثــر الجنسية ، فلا يستطيع إلا الإقرار بأنها مجموعة فلسفية قائمة بذاتهـــــا ، تزخر بالحيوية النابضة ، والروحية المتجســــدة ، والعقليـــة المبدعـــة الـــتي استنبطت العلوم ، وأبدعت الأفكار ، وابتكرت السنن ، وأوجدت النظـــم والأحكام .

*** *** *** ***

الباب الثالث.

أفكار يطرحها الدكتور البوطي حول الأئمة(ع)



الفصل الأول

ما قاله عن الإمام الحسن :

- يقول الدكتور البوطي في كتابه هذه مشكلاتهم :

((من الذي قال إن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان مشرعا في أقواله وتصرفاته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون أعماله أو عاداته أو أمزجته تشريعات ملزمة لنا)) .[1]

ثم تابع قوله :

((وإذا أصر الناس إلا أن يزوجوه من بناهم ، راضين وراضيات بكثرة تطليقه للنساء ، لأي سبب ، مزاجي أو غيره)) .[2]

فمن حقنا نحن أن نقول أيضا :

- كشف الأسرار :

سؤال يطرح نفسه من هو الحسن بن علي بن أبي طالب :

يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٨٧-١٩٢

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أبو محمد ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وريحانته ، وآخر الخلفاء بنصه .

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان، قال :الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سمت العرب بهما في الجاهلية .

---

(١) – من كتاب هذه مشكلاتهم للدكتور البوطي ، ص ٨٥

(٢) – المرجع نفسه .

ولادتـــــه :

ولد الحسن رضي الله عنه في نصف شعبان سنة ثلاث من الهجـرة ، وروي له عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ، وروت عنـــه عائشـــة رضي الله عنها ، وخلائق من التابعين : منهم ابنه الحسن ، وأبو الحـــوراء ربيعة بن سنان ، والشعبي ، وأبو وائل ، وابن سيرين . وكان شبيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، سماه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو خامس أهـــل الكساء ، وحلق شعره ، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة .

وأخرج البخاري عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي .

ما روي عنه :

أخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم والحسن بن علي على عاتقه وهو يقـــول : ((اللـــهم إني أحبـــه فأحبـــه)) .

وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال : سمعت النبي صلى الله عليـــه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول : ((إن ابني هذا سيد ، ولعل الله ان يصلح به بـــين فئتـــين مـــن المسلمين)) .

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : قال النبي صلـــى الله عليـــه وسلم : ((هما ريحانتاي من الدنيا)) يعني الحسن والحسين .

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)) .

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال : قام الحسن بن علي يخطب ، فقام رجل من أزد شنوأة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول : ((من أحبني فليحبه ، وليبلغ الشاهد الغائب)) ولولا كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثت به أحد .

مناقبه :

يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين :

كان الحسن رضي الله عنه له مناقب كثيرة ، سيدا ، حليما ، ذا سكينة ووقار وحشمة ، جوادا ، ممدوحا ، يكره الفتن والسيف ، تزوج كثيرا، وكان يجيز الرجل الواحد بمائة الف .

وأخرج الحاكم عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال : لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا .

ولايته للخلافة :

ولي الحسن رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعته أهل الكوفة ، فأقام فيها ستة أشهر وأياما ، ثم سار إليه معاوية – والأمر إلى الله – فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه ، على أن تكون له الخلافة من بعده ، وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز

والعراق بشيء مما كان أيام أبيه ، وعلى أن يقضي عنه ديونه ، فأجابه معاوية إلى ما طلب ، فاصطلحا على ذلك .

- المعجزة النبوية :

ظهرت معجزة الرسول الأعظم (ص) بتخلي الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية بقوله صلى الله عليه وسلم : ((يصلح الله به بين فئتين من المسلمين)) .

- تخليه عن الخلافة :

تخلى الحسن بن علي عن خلافته لمعاوية ، وقد استدل البلقيني بنزوله عن الخلافة – التي هي أعظم المناصب – على جواز النزول عن الوظائف ، وكان نزوله عنها في سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول وقيل الآخر .

ما قاله أصحابه :

كان أصحابه يقولون له : يا عار المؤمنين ، فيقول : العار خير من النار ، وقال له رجل : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : لست بمذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك . ثم ارتحل الحسن عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها .

ما قاله جبير بن نفيل :

وأخرج الحاكم عن جبير بن نضير قال : قلت للحسن : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ، فقال قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت ، فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

تعقيب على ما قاله الدكتور البوطي :

كيف لنا وبأي حق لانقتدي بأعمال الحسن بن علي (عليهما السلام) ناموس هذه الأمة الذي حقن دماء المسلمين ابتغاء وجه الله وهو يقول : لست بمذل المؤمنين ، ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك .

كيف لا نقتدي بأعماله وعاداته وهو الذي قال عنه الرسول الأعظم اللهم إني أحبه فأحبه ولا يسعني القول والتعبير إلا بالاسترشاد بما قاله الإمام زين العابدين :

((... الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي باعماله))

من هو ذاك الذي يتخلى عن زعامة القوم ، زعامة الأمة بأي عصر كان ومهما كانت الظروف ، ويقدمها بطبق من ذهب وبكل وعي إسلامي وديمقراطي ، إلا إذا كان من أعالي القوم ورفعتهم والذي ينطبق عليهم قوله تعالى :

((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))[1]

● – وفي موضع آخر يقول الدكتور البوطي :

((من الذي يدعي أنه ينتسب إل أهل السنة حقا ثم لا يفيض قلبه حبا لآل بيت رسول الله وشيعة رسول الله (ص) ومن الذي يستطيع أنه يدعي أنه من شيعة آل المصطفى (ص) ثم لا يكون هو الحامي الأول لحوزة الكتاب والسنة ثم لا يكون هو المثل الأول لسنة

---

[1] – الأحزاب آية ٣٣

المصطفى (ص) أليس الأسمان متظافرين ليكونا اسما أو اسمين لمسمى واحد))[1]

- – من الملاحظ من المقالين (١) و(٢) نجد أن هناك التناقض التالي :

فبالأولى يقول من الذي قال إن الحسن كان مشرعا في أقواله وتصرفاته حتى تكون ملزمة لنا وفي الثانية يقول من الذي يستطيع أنه يدعي من شيعة آل المصطفى ثم لا يكون هو الحامي الأول لحوزة الكتاب والسنة ؟؟

والسؤال الذي يطرح نفسه إذا لم يكن الحسن بن علي الحامي الأول للكتاب والسنة فمن هو ذاك البديل ؟؟

- **– المواجهة الصاخبة في خلط الأوراق :**

لا يوجد في الدنيا فرد أو جماعة أو أمة تستطيع أن تؤكد لنا على وجه الجزم واليقين أن هذا أو ذاك هو : الأعلم و الأفهم والأفضل والانسب لأن الأفراد والجماعات والأمم لايعرفون ذلك على وجه الجزم واليقين ، لأن إمكانياتهم وطاقاتهم العقلية والفطرية والعلمية لاتمكنهم من ذلك ، ولأنهم لا يعرفون إلا الظاهر ، أما البواطن فهم يجهلونها ، وإذا اجتهدوا وحاولوا أن يبحثوا عن الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب فإن النتائج التي سيتوصلون إليها قائمة على الفرض والتخمين فقد تكون وقد لا تكون ، ولكن المؤكد أن هذه النتائج هي ثمرة مبلغهم من العلم مشبعة بكل نوازع النفس الإنسانية .

[1] – تابع للمقال الذي ألقي في مؤتمر الامام جعفر الصادق عام ١٩٩١ للدكتور البوطي .

والمطلب الحقيقي للجميع ليس الفرض والتخمين إنما الجزم واليقين .

إذا فإن المؤهل والمختص بإعطاء المعلومات اليقينية القائمة على الجزم واليقين هو الله جل وعلا ، فهو نفسه الذي قدم لنا محمدا وأكد لنا أنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب وهو نفسه صاحب العقيدة و الأحرص على مصلحتها ،وهو المعني تماما بأن يقدم لنا من تتوفر فيه هذه الصفات على وجه اليقين وفي كل زمن من الازمان من بعد وفاة النبي (ص) وحتى تقوم الساعة .

فمنذ اليوم الذي شرع فيه محمد بالدعوة شرع بأمر من ربه بإعداد هذا الذي سيتولى الولاية والقيادة والمرجعية من بعده ، وبين الطريقة التي ستتم بها عملية استكشاف من كانت هذه صفاته .

وأخيرا :

نتساءل إذا كان الضمير والفطرة والوجدان هم ميزان التمايز بين الحقيقة والفساد ، بين الصلاح والانهيار ، فلماذا يختلف الناس ؟ ونراهم يتخاصمون ويتناحرون فيما بينهم ، كل يدعي لنفسه الصلاح والحقيقة ويرمي على غيره الفساد ؟ هل التناحر والتخاصم بين الناس ناتج عن اختلاف الضمائر والنفوس ، أم تضارب المصالح وتعارض الأهداف والرغبات فالحقيقة في نظر فرعون ونظامه يقتضي القضاء على موسى وإنهاء دعوته ، ومصلحة موسى وقومه تقضي القضاء على فرعون ومعتقداته . فمصلحة فرعون مبنية على مفسدة موسى ومصلحة موسى مبنية على مفسدة فرعون . فهل تعارض المصالح وتعدد المذاهب

وتضاربها ، واختلاف الأهواء والضمائر سببا رئيسيا في اختــلاف الآراء حول مصاديق الحقيقة والفساد .

ولو تركت النفس وفطرتها وطبيعتها فلـــن تختـــار إلا الحقيقـــة والصلاح .

الفصل الثاني

ما قاله البوطي عن الامام علي (ع)

** قال الدكتور البوطي :

((علي أشجع الناس فلم ترك قتال المتقدمين عليه))

وتابع قوله :

((عندما يرى أن الخلافة من حقه بنص القرآن أو بعض الحديث ولايقاتل أبا بكر وعمر وعثمان بشراسة أشد !! لماذا ... ؟

فأما أن سيدنا علي معصوم أو أنه غير معصوم فمعنى ذلك أن عملـه حجة بأن الخلافة لأبي بكر ((ما دام معصوما)) ولعمر وعثمـان وإذا كان لا ، فإنه غير معصوم وبايع غلطا وكان عليه ألا يبايع عمر و ألا يبايع عثمان ، وألا يبايع لأنه هو الخليفة وبذلك فهو غير معصوم).[1]

ويقول أيضا في موضع آخر :

((لماذا الرجوع إلى التاريخ وإني أرى في الرجوع إلى التـاريخ محاولـة لايقاظ الفتنة من جديد)) .[2]

البشـــارة :

قال الدكتور في الفقرة الأولى بأن علي أشجع الناس وقال أيضـا فلم ترك قتال المتقدمين فأنت بهذا جعلتنا نعود إلى الوراء إلى السـجل إلى التاريخ بحلوه ومره ، برفعته ودنوه .

---

[1] – مقطع مما قاله الدكتور البوطي في جامعة دمشق تاريخ ١٩٩٥/١٠/٢ ونقل هذا الكلام حسبما سمعته من الكاسيت دون أي إجراء تعديل على اللغة ، من كتاب وقفة مع الدكتور البوطي للشيخ هشام آل قطيط .

[2] – مقاطع مما قاله الدكتور البوطي بتاريخ ١٩٩٥/١١/١٨ في الرقة منقول من كتاب وقفة مع الدكتور البوطي للشيخ هشام آل قطيط .

وفي الفقرة الثانية قال لماذا الرجوع إلى التاريخ فهو يوقظ الفتنة ؟؟؟

ونحن نقول : إن التاريخ لايورث عزا ولا انحطاطا إنما يورث شيئا واحداً فقط هو العبرة ، وإننا نأتي وبعد مضي ألف سنة ونقول لماذا الرجوع إلى التاريخ نقول تلك أمة قد خلت ولنبدأ من جديد دون أن نعرف من هو المحق ومن هو الذي اتبع الحق حتى نقتفي أثره ، ومن هو المبطل ومن الذي اتبع هواه حتى نتجنب مسالكه ، ومعنى ذلك أننا نهمل الاستفادة من تجربة دامت ألف عام ونيف ، ونبدأ بالحياة من الصفر كأننا بلا تجارب وبلا تاريخ .

يقول ابن حجر العسقلاني الشافعي :

((الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام)) .[1]

وطبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدركه .[2]

- الطبقة الأولى : الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين .
- الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة .
- الطبقة الثالثة : مهاجروا الحبشة .
- الطبقة الرابعة : أصحاب العقبة الأولى .
- الطبقة الخامسة : أصحاب العقبة الثانية .
- الطبقة السادسة : أول المهاجرين الذين وصلوا بعد هجرة النبي (ص) المدينة .

---

[1] – راجع الاصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر ، ص ١٠ .

[2] – راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

- الطبقة السابعة : أهل بدر .
- الطبقة الثامنة : الذين هاجروا بين بدر والحديبية .
- الطبقة التاسعة : أهل بيعة الرضوان .
- الطبقة العاشرة : من هاجر بين الحديبية وفتح مكة .
- الطبقة الحادية عشرة : الطلقاء وهم الذين اسلموا يوم فتح مكة .
- الطبقة الثانية عشرة : صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح .

فأول الناس إسلاما خديجة ثم علي . تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم زيد بن حارثة ثم أبي بكر .[1]
وتقسيم الصحابة إلى طبقات دخول واقعي في باب التفضيل ، فمن غير المنطقي أن يكون أول من أسلم بنفس الدرجة من العدالة التي يتمتع بها من اسلم يوم الفتح ، وقد تنبه إلى هذه الناحية الفاروق رضي الله عنه عند توزيع العطايا ، فأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة ، ولم يساو بين من أول من أسلم وآخر من أسلم ، وفي اجتماع السقيفة كانت حجة المهاجرين على الأنصار : هي أنهم أول من عبد الله في الأرض ((السابقة الإيمان)) وأنهم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده ، ولا ينازعهم إلا ظالم ، ولأن العرب تأبى أن تؤمر الأنصار ونبيها من غيرهم .ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم . أنظر إلى قول عمر (رض) :
(من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته) هذا بالحرف ما

---

[1] - راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ،ص ٢٢٧ .

قاله أبي بكر وعمر في السقيفة .[1]

ألا ترى أن هذا التطبيق نظري دقيق لعملية التفاضل الشرعية .

فإذا رجعنا إلى حجة أبي بكر على الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، وحجة عمر في السقيفة ، وحجة أبي عبيده .

فقد قالوا إنهم الأولى بمحمد :

لأن العرب تأبى أن تولى الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم .

٢ - إن أهل محمد وعشيرته هم أولى بميراثه وسلطانه .

٣ - إنهم أول من عبد الله في الأرض .

نظام التفاضل في الإسلام ورئاسة الدولة حق للجميع إلا الهاشمي :

إن داود نبي ، ورثه ابنه سليمان فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معا ، وأوتي الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب ، والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى دنيوي والخليفة قائم مقام النبي ، ومن مهام النبوة البيان والحكم وعملية البيان والحكم عملية فنية تماما واختصاصا .

ورئاسة الدولة حق للجميع إلا الهاشمي بمعنى أنه لاشيء على الاطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الاسلامية شريطة أن يتمكن من الوصول إليها والاستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم الخلافة والسلطان شريطة أن لا يكون من بني هاشم لأنهم اختصوا بالنبوة والنبوة تكفيهم .

- واختياره تعالى لطالوت ليكون القائد السياسي لبني اسرائيل فقام نبي

---

[1] راجع تاريخ الطبري ، ج٧، ص١٩٨، وراجع الامامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ج٢، ص ٣٢٧ من شرح النهج .

- بني اسرائيل بإخبار الاسرائيليين بأن الله قد اختار لكم طالوت ملكا فاحتج الاسرائيليون فزعموا أن طالوت غير جدير بالملك ، فبين الله أنه أهل لذلك لأسباب كثيرة منها أن الله زاده بسطة في العلم والجسم ثم إن الفضل بيد الله وهو الأعلم بمن هو جديرا بهذا الفضل .

ما هي الغاية من الترشيح الالهي للقيادة السياسية ؟؟

لأن هدف المحكومين المصفى من الغرض والشهوة هو أن يتولى قيادتهم الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم والتعيين ، وتلك أمور خافية عليهم ويتعذر وفق إمكانياتهم أن يجزموا جميعا بأن هذا أو ذاك هو الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين . فرحمة من الله تعالى بخلقه المؤمنين لهم بأن مرادهم فلان ,إذا كانوا حقيقة صادقين بالبحث عن الأفضل والأعلم والأنسب ، لأن القيادة عملية فنية واختصاص وهي في الغالب خلافة لنبوة ، ومن مهام النبوة القدوة والتبليغ والبيان وسعة الصدر بالمحكومين ، والقول الفصل ، بحيث يلتقي فهمه تماما مع المقصود الإلهي من كل قاعدة من قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية ... وتلك أمور لا يمكن أن تترك لأهواء الناس المتباينة وأمزجتهم المختلفة .

وهذا الركن هو الفارق العملي الوحيد الذي يميز الأنظمة الوصفية عن النظام السياسي الإسلامي . فالأنظمة الوضعية تترك الأمر لأهواء الناس واجتهاداتهم لاختيار القيادة السياسية الأعلم والأفضل والأنسب على سبيل الغرض والتخمين لا على سبيل الجزم واليقين الذي يتحصل باتباع النمط الإلهي .

المنظومة الحقوقيـــة الإلهية :

الإمام (الخليفة) أو القائد السياسي في النظام الإسلامي ليس حراً ليحكـــم إنما هو مقيد بالمنظومة الحقوقية الإلهية ، بحيث يكون حكمه في أي أمر مـــن الأمور متطابقا تماماً مع الإرادة الإلهية بحيث يكون التكييـــف هـــو عـــين التكييف الإلهي والمضمون عين المضمون الإلهي ، لأن المنظومة الحقوقية هي من صنع الله وهي بمثابة القانون النافذ الواجب تطبيقه على كل الداخلين في ولاية الإمام أو القيادة السياسية وهذه المنظومة الحقوقية ليست من صنـــع القائد ولا من صنع المحكومين ، إنما هي من صنع الله وما يبدو لنا أنه قـــول محمد (ص) ما هو في الحقيقة إلا ثمرة وحي إلهي بيان لما أنزله الله . وهـــذا فارق آخر بين النظام السياسي الإسلامي وبين الأنظمة الوضعية ، فالأنظمة تسن بنفسها قوانينها وتلزم المحكومين على اتباعـــها ، بينمـــا في النظـــام الإسلامي الله هو الذي يصنع المنظومة الحقوقية ويلتزم الحـــاكم والمحكـــوم باتباعها تحت إشراف الله . فالذين ينفذون القوانين ليسوا عبيداً للحاكم إنما الحاكم والمحكومين عبيد الله ينفذون أوامره ويخضعون له وحده ولا لسواه.

موافقة المحكوميـــن ورضاهـــم :

الشعب يبحث عن منظومة حقوقية مثلى تحدد له الأهداف العامـــة والخاصة ، وتبين له وسائل بلوغ تلك الأهداف ويبحث عن قيادة سياسية تكون هي الأعلم بالمنظومة الحقوقية وهي الأفضل بين كل الموجودين وهي الأنسب لقيادته وهو حاضر بأمره . فجاءت العناية الإلهية لتنقذه من هـــذه الحيرة وتبين له أن المنظومة الحقوقية التي تحقق ما يريد هي الإسلام بقرآنـــه وسنة نبيه قوله وفعله وتقريره . أما القائد الأعلم بهذه المنظومة والأفضل من

بين الموجودين والأنسب لقيادة الشعب فهو محمد صلى الله عليه وسلم وبعد موته هو الذي ينسبه محمد بأمره (ص) بأمر من ربه ، فإن وافق الشعب على هذا التكييف الإلهي للمنظومة الحقوقية وللقيادة فقد اهتدى ودخل الخير من أوسع الأبواب بعد أن قبل بهذا التكييف الإلهي ، وبالتالي يطبقون المنظومة ويوالون القيادة .

تعددية المراجع :

لايوجد في العقيدة الإلهية الواحدة إلا مرجع واحد ، فالنبي هو المرجع الأعلى لكل ما يتعلق بالإسلام ، وموسى هو المرجع الإعلى في زمانه فإذا افترق عن هارون يصبح هارون مرجعاً مرتبطاً بموسى وتابعاً له، وإذا اجتمعا فالمرجع هو موسى ، وهكذا عيسى فهو المرجع في كل الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية ، لأن تعدد المراجع في العقيدة الواحدة يؤدي بصورة حتمية لتفسخ العقيدة وتفرق أتباعها واستنباط عقائد جديدة من الناحية الواقعية .

فالمرجعية في الإسلام هي مرجعية واحدة وهي اختصاص ومن أعظم ضرورات الدين . فإذا انعدمت المرجعية الشرعية يركب كل مسلم رأسه ، أو تركب كل مجموعة من المسلمين رأسها ، وتعتقد لكثرة ممارستها للخطأ أن الحق معها وتتفرق الكلمة ، وتتشتت شمل الأمة ولا يلمها ثانية إلا وجود مرجع واحد تعتبر كلمته حقيقة عقلية وإيمانية يتقبلها المسلمون عن رضى خاطر ، وهذا هو السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين .

العقيدة ومعناهـــا :

إن الرابطة بين العقيدة وبين المرجعية عضوية . فحيثمـــا وجـــدت العقيدة يستتبع بالضرورة وجود مرجعية لأن التلازم والتكـــامل حـــاصل وبالضرورة بين العقيدة والمرجعية ، وتعني العقيدة عموماً مجموعة الأفكـــار والقواعد والمبادىء والقيم المترابطة والمتكاملة والتي تقدم تصوراً للوجود لما هو كائن ، ولما ينبغي أن يكون أو تصوراً للحال وللمآل بغض النظر عـــن صحة هذا التصور أو فساده ، عن شموليته أو محدوديته ، عـــن كمالـــه أو قصوره . فتجتذب هذه العقيدة جماعة معينة تقتنع بهذا التصور ، فتحـــدد هذه الجماعة قناعاتها وأهدافها وطرق بلوغ تلك الأهداف وفق مقـــاييس تلك العقيدة ، فتكون هذه العقيدة هي القائدة وهي الموجهة ومنبع الشريعة والمشروعية في حياة تلك الجماعة وهي منبع خيرها العام .

نوعـــا العقائـــد :

عرفت البشرية نوعين من العقائد :

١ – عقائد إلهيـــة من صنـــع الله .

٢ – عقائد وضعية من صنع الأفراد أو مجموعة من الأفراد أو إن شئت فقل من تجميع فرد أو مجموعة من الأفراد .

التصـــور اليقينـــي :

بمعنى أن الإسلام كعقيدة يقدم تصوراً يقينياً شاملاً وكاملاً ويقينيـــاً يقوم على الجزم واليقين . وهذا التصور اليقيني يغطي بالكـــامل ســـاحة الأهداف والوسائل العامة والخاصة وفي كافة نواحي الحياة وعلـــى كافـــة

الأصعـــدة الفرديـــة والجماعية والسياســـية والاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والدولية ..الخ .

وهذا التصور اليقيني هو بمثابة مخططات عامة ، وتفصيليـــة دقيقـــة لواقع ما هو كائن ومستقبل هذا الكائن في دائرة الواقع ، وما ينبغـــي أن يكون عليه هذا الكائن في دائرة المنى الذي سيتحول الى واقع بحيث تقـودك هذه المخططات درجة درجة وخطوة خطوة حتى تصل بـــك إلى العنايـــة الشرعية من أقصر الطرق وبأقل التكاليف ، وفي كل أمر مـــن الأمـــور . عندئذ تكون العقيدة هي القائدة والموجهة ، وهي منبع الشرعية ، وتســتقر كبنية فكرية كاملة ، وتدعم هذا الاستقرار القناعة الذاتية والرضى بهـــذه العقيدة القائمة على الجزم واليقين ، بعكس العقائد الوضعية التي تقوم علـى الافتراض والتخمين والتي ستنهار في النهاية عاجلا أم آجلا .

استذكـــار :

إن كل عقيدة إلهية على الإطلاق لابد لها بالضرورة من مرجعيـــة شرعية تتلازم معها وتتكامل . ومن المستحيل أن تكون هنالك عقيدة إلهيـة بدون مرجعية تتولى بيان هذه العقيدة الإلهية . وهذا المرجع يجب أن يكـون بالضرورة هو الأعلم في هذه العقيدة ، والأكثر فهما لها ، والأكثر إخلاصا لها ، وخير الموجودين وأفضلهم وأنســبهم لا علـــى ســبيل الافـــتراض والتخمين ، إنما على سبيل الجزم واليقين ، وتلك أمور خفيـــة لا يعلمـــها العلم اليقيني إلا الله بالسر وأخفى ، ومن هنا اختص تعالى بتعيـــين هـــذه المرجعية واختيارها ، تلك حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل أو متكبر .

الحاجـــة لمرجعية بعد وفاة النبـــي :

رأينا أن كل نبي على الإطلاق مرجع بالضرورة ، كلفه الله تعـــالى بمهام ووظائف وسيد الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وســـــلم قـــاد الدعوة إلى الله فنجحت دعوته ، وأسفرت عن دولة طبقت قواعد العقيـــدة الإلهية بيانا كاملاً نظرياً وعملياً ، وأعلن الله أنه قد أكمل للمسلمين دينـهم وأتم عليهم نعمته . وخير النبي فاختار ما عند الله . ولم يفاجئه الموت ، إنما مرض ثم انتقل إلى جوار ربه تاركاً دعوة قائمة ودولة ماثلة ، ودينا يبـــاهي به الدنيا ، إنه تبيان لكل شيء (تبيانا لكل شيء) على الإطلاق .

١ — من هو المرجع من بعده ؟

٢ — ومن الذي سيقوم بالوظائف التي كان يقوم بها ؟

٣ — من الذي يبين للناس أحكام العقيدة الإلهية ؟

٤ — ومن الذي يحدد دائرة الشرعية والمشروعية ؟

٥ — من هو ولي الأمة وركن مجدها القائم مقامه ؟

٦ — من هو ثقلها ؟

٧ — من هو مثلها الأعلى بعده ؟

٨ — من الذي يقود موكب المؤمنين لتحرير سكان العالم وانتشالهم مـــــن الظلمات إلى النور ؟

*** مواقـف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي (ص) ، مـن هو المرجع بعد وفاة النبي ؟**

- **رأي السنـة :**

يقول السنّة أن النبي قد ترك الأمة بدون خلف ولا مرجعية ، وأنـه لم يبين للمسلمين الإمام أو الولي الذي سيخلفه من بعده ويقوم بوظائفـه الدنيوية والأخروية ، ومنها المرجعية من بعده . وقد استدلوا على ذلك برد الخليفة عمر بن الخطاب على الذين أشاروا عليه أن يستخلف من بعده على المسلمين فقال : ((إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني)) يعني أبـا بكر ((وإن أدع فقد ودع من هو خير مني)) يعني النبي (ص)، ثم إن النبي برأيهم لم يوص لأحد قط بأن يقوم بوظائفه الدنيوية والأخرويـة ومنـها المرجعية من بعده ، ويستدلون على ذلك بقول السيدة أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها ((بأن النبي مات بين سحرها ونحرها)) ولو أنه قد أوصـى لسمعته .

المرجعيـة الجماعيـة عنـد أهل السنـة :

قال ابن خلدون : إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وانما كان مختصاً بالحاملين للقـرآن العـارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر أدلته ، بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعه منهم وعن عليتهم ، وكانوا يسمون (القـرآء) أي الذين يقرأون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاختص من كـان قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ وبقي الأمر كذلك صدر الملة.[1]

---

[1] راجع طبقات ابن سعد ج٤ ص١٦٨ وراجع آراء علماء المسلمين ص ٥٠ وما فوق .

فصل في بيان كونه صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وسر ذلك :

قال البزاز في مسنده: حدثنا عبد الله بن وضاح الكوفي ، حدثنا يحيى بن اليماني ، حدثنا إسرائيل، عن أبي اليقظان عن أبي وائل عن حذيفة قال : قالوا : يارسول الله ألا تستخلف علينا ؟؟ قال : إني إن أستخلف عليكم فتعصون خليفي ينزل عليكم العذاب)) . أخرجه الحاكم في المستدرك ، وأبو اليقظان .[1]

وأخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن : ((إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني — يعني أبا بكر — وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني)) .

يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأخرج أحمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال : لما ظهر عليّ يوم الجمل قال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر ، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه،[*] ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها .

وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن أبي وائل قال : قيل لعلي : ((ألا تستخلف علينا ؟ قال : ما استخلف رسول

---

[1] من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص٧ .

[*] ضرب الدين بجرانه : هذه كناية عن ثبات أمره واستقراره .

الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف ، ولكن إن يــرد الله بالنــاس خــيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم)) .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال علي : لما قبض رســول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي (ص) قد قدم أبا بكــر في الصلاة ، فرضينا لدنيانا عمن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنـــه لديننا ، فقدمنا أبا بكر .

وقال البخاري في تاريخه : روى عن ابن جمان عن سفينة أن النــبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر وعثمان : هؤلاء الخلفاء بعــدي ، قال البخاري : و لم يتابع على هذا ، لأن عمر وعليا وعثمـــان قــالوا: لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم .

والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا يحيى الجماني حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة :

لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجرا وقال لأبي بكر : ضع حجرك إلى جانب حجري ، ثم قال لعمــر : ضــع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم قال لعثمان : ضع حجرك إلى جنــب حجر عمر ، ثم قال : ((هؤلاء الخلفاء بعدي)) ، قال أبو زرعة : إسـناده لابأس به ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائــل وغيرها ، قلت : ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلى انه لم يســـتخلف ، لأن مرادهما أنه عند الوفاة لم ينص على استخلاف أحد ، وهـــذا إشــارة وقعت قبل ذلك فهو كقوله صلــى الله عليــه وسلم في الحديث الآخــر :

((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) .

أخرجه الحاكم من حديث العرباض بن سارية ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : ((اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)) وغير ذلك من الاحاديث المشيرة إلى الخلافة .

فصل في بيان أن الأئمة من قريش ، والخلافة فيهم :

قال أبو داوود الطيالسي في مسنده: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا و استرحموا فرحموا)) أخرجه الامام أحمد .

وقال الترمذي : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا معاوية بن صالح ، حدثنا أبو مريم الأنصاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الملك في قريش ، والقضاء في الأنصار ، والأذان في الحبشة)) إسناده صحيح .

أسئلة محيرة :

تقول السنة أن الرسول لم يستخلف أحد أما أحاديثه صلى الله عليه وسلم تشير بأنه استخلف من خلال حديثه : ((اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)) . وحديث آخر يشير بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وهو : (إني إن استخلف عليكم فتعصون خليفي ينزل عليكم العذاب) .

وسؤال آخر يطرح نفسه :

تقول الشيعة إن الأئمة الاثني عشرية كلهم من علي بن أبي طالب بدء من علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين .. الى المهدي المنتظر) فهم اثنا عشر اماما ، وتقول السنة إن الائمة الاثني عشر : هما الخلفاء الأربعة : أبا

بكر وعمر وعثمان وعلي .. أما بعد هؤلاء الخلفاء الأربعة لم يتم تحديد بقية الخلفاء ؟؟

النتيجة :

وفي النهاية تمت مبايعة أبي بكر كإمام للمسلمين :

مبايعة أبي بكر (رض) :

قال ابن اسحاق في السيرة : حدثني الزهري قال : حدثني أنس بن مالك قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل . ولاتشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .[1]

---

[1] الخلفاء الراشدين ، ص ٦٩ للسيوطي .

من هو المرجع بعد وفاة النبي (ص)

رأي الشيعة :

يقولون : الرسول الأعظم (ص) لم يترك الأمة بدون ولي ولا مرجع ، لان الولاية والمرجعية أمران جوهريان لا غنى للأمة عنهما وفي كل زمان . ثم من يقوم بوظائفه الدينية من بعده . فمن يبين القرآن ؟ ومن يحدد دائرة الشرعية ؟ ومن سيكون سفينة النجاة للأمة . ومن يقود الناس للهدى ؟ ومن يكون أمانا لها ؟ هذه اختصاصات فنية كالطب والهندسة وعلم الذرة ؟ وهذه أمور لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الأعلم بالعقيدة . وتقول الشيعة إن حالة المسلمين ومستقبلهم يتوقف على توحيد المرجعية مع الحكم أو الولاية بحيث يكون الولي هو المرجع وبحيث يكون الولي والمرجع هو بنفسه المعين من قبل الله .

المرجعيتان :

لدى الإسلام برأي الشيعة مرجعيتان بعد وفاة النبي :

المرجعية الأولى فردية : عميد أهل بيت النبوة وأول العمداء علي (عليه السلام) وهي تقابل فردية الحاكم الغالب عند أهل السنة .

المرجعية الثانية جماعية : وهي عترة النبي وأهل بيته ، وهم يوالون عميدهم ويساعدونه بحفظ الدين على أصوله المستقرة .

الدليل الشرعي على تعين الله للمرجعية الفردية :

آية الولاية وهي الآية ٥٥ من سورة المائدة (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)) .

وقد نزلت هذه الآية في علي حين تصدق بخاتمه وهـــو راكـــع في صلاته وتفسير هذه الآية مفصل بتفسير الثعلبي على سبيل المثال ، وعندمـــا رأى النبي (ص) عليا وهو يتصدق بخاتمه أثناء ركوعه في الصلاة دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه هارون ربي ((واجعل لي وزيرا من أهلي عليـــا أشد به ظهري)) قال أبو ذر : فو الله ما أتم الرسول صلـــى الله عليـــه وسلم دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية . وقد أجمع المفســـرون على نزول هذه الآية في علي (عليه السلام) .

الإمام علي (عليه السلام) :

قال أبو القاسم الزجاجي في أماليه : عن أبي الاسود الـــدؤلي ، أو قال : عن جدي أبي الأسود ، عن أبيه ، قال : دخلت على أمير المؤمنـــين علي بن أبي طالب (ع) فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر يا أمـــير المؤمنين ؟ قال : إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنـــع كتابـــا في أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا ، وبقيت فينا هذه اللغـــة ، ثم أتيته بعد ثلاث ، فألقى إلي صحيفة فيها : بسم الله الرحمـــــن الرحيـــم ، الكلمة : اسم ، وفعل ، وحرف ، فالاسم : ما أنبأ عن المسمى ، والفعل : ما أنبأ عن حركة ، والحرف : ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعـــــل ، وأعلم يا أبا الاسود أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليـــس بظاهر ولا مضمر ،وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليـــس بظـــاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود : فجمعت منه أشياء ، وعرضتها عليـــه ، فكان من ذلك حروف النصب .[1]

---

[1] – الخلفاء الراشدين للسيوطي ، ص ١٨١ .

● - تساؤلات :

ماذا يكون الموقف لو أن صحابيا قال : إن الحق عنـــدي هنـــا في الشرق . وبنفس الوقت قال صحابي آخر : إن الحق عندي في الغرب ، ثم قال ثالث : إن الحق عندي هنا في الشمال ، وقال رابع : إن الحق عنـدي هنا في الجنوب ، وقـــال خامـــس : إن الحـــق عنـــدي هنـــا في زاوية ٤٥ شمال...الخ

وانقسمت الأمة ٧٣ فرقة كما أخبرنا النبي وبيد كل فريقة ذريعـة فهل يعقل بالشرع والعقل أن يكونوا كلهم على الحق ؟ إنه لايوجـــــد إلا حق واحد !! إن الفرقة جريمة ، وإن الوحدة قربة من الله ، فهل يعقــــل أن يفرق النبي أمته ؟؟ .

وأخيرا هذا ما أقوله :

إذا عرض للإنسان فكرة أن الديمقراطية أفضل ، أو الدكتاتوريـــــة فعليه أن لا يسارع إلى التسليم والجزم بشيء قبـــل أن يحاكمـــه بعقلـــه ، ويستعرض ما للحرية والاستبداد من حسنات وسيئات ، ويقارن بينـــــهما مقارنة دقيقة ، فإذا ترجح عنده أحد الأمرين بمقياس معقول آمـــن بـــه ، وسلم له ، وهذا هو دور القلب ، ومتى آمن الإنسان بمبدأ إيمانا صادقـــــا يصبح مثله الأعلى ، ويعمل له ويضحي من أجله بالغالي والثمين ، لايـهتم بالنقد ولا يبالي بالعقبات ، وهذا هو دور عمل الحواس والأعضاء ونستنتج من ذلك ما يلي :

١ - إن وظيفة العقل هي التمييز وغربلة الأفكار ، ولكن للعقل حـــدودا لا يستطيع مجاوزتها .

٢ - إن العقيدة ، أية عقيدة ، لا تكون حقا وصوابا إذا رفضها العقـــل وتصادمت مع حكم من أحكامه .

٣ - إن النظرية التي تطابق الواقع ، ويحكم العقل بصوابها ، وان تكـــن حقا من وجهة النظر العلمية ، ولكن لا فائدة منها إذا لم توضع في حيز التطبيق .

وخلاصة **ذلك** : إن الفكرة يجب أن تتحول إلى عقيدة ، والعقيدة يجب ان تتجسم بالعمل الملموس حيث الإيمان والعمل أخوان توأمـــان لا يفترقان .

*** *** *** ***



الفصـــــل الثالث

ما قاله البوطي عن الإمام الصادق

وتابع الدكتور البوطي قوله :

((المحور الذي يدور حول حديثي أيها السادة عـــن الإمـــام الصـــادق وأصدقكم القول هو تلمس شخصية الإمام الشيعي فيـــه بكـــل مـــا يفترض أن يبرز فيه من خصائص التشيع التي نراها ونعلمـــها في هـــذا الوصف وسلفا أقول لكم إنني بعد البحث الذي ســـأذكر بعـــض جوانب التفصيل فيه لم أجد في شخصية هذا الإمام الجلي إلا معين يلتقـي عليه شمل المسلمين جميعا ، وشمل علمائهم جميعا مـــن فقـــهاء ومحدثـــين ومفسرين وعلماء كلام ومتصوفة)) .[1]

● تســـــاؤلات :

نطرح سؤالنا على حضرة الدكتور البوطي :

ونقول له ها أنتم في هذا الجزء من مقالتكم الموقرة تشـــيدون بشـــخصية الإمام الصادق وتقولون بأنها شخصية الإمام الشيعي التي هي معين يلتقـي عليه شمل المسلمين وسؤالي الذي أطرحه ، لماذا لا تدعون ســـيادتكم إلى صهر جميع المذاهب بمذهب واحد يتمثل بشخصية هذا الإمام الشيعي أي بشخصية الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

وهنا سيادتكم دفعتني لأن أفصل بعض الشيء عن الإمامية الـــتي تعتبر نفسها نور هذه الأمة من خلال إمامها وقائدها ومعلمها أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام .

---

[1] — جزء من المقال الذي ألقاه الدكتور البوطي في مؤتمر الإمام جعفر الصادق عام ١٩٩١

وأقـــــول :

إن أولي العلم يعلمون بالضرورة انقطاع الشيعة الإمامية خلفا عن سلف في أصول الدين وفروعه إلى العترة الطاهرة ، فرأيهم تبع لرأي الأئمة من العترة ، في الفروع والأصول وسائر ما يؤخذ من الكتاب والسنة أو يتعلق بهما من جميع العلوم ، لا يعولون في شيء من ذلك إلا عليهم ، ولا يرجعون فيه إلا إليهم ، لا يجدون عنه حولا ولا يرتضون بدلا على ذلك مضى سلفهم الصالح من عهد أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين (ع) إلى زماننا هذا ، وقد أخذ الفروع والأصول عن كل واحد منهم جم من ثقات الشيعة ، وعدد من أهل الورع والضبط و الإتقان يربو على التواتر .

وحيث أنه : الخليفة في اللغة مأخوذة من الخلافة والخلافة يقصد بها الإمارة على أمة من الناس والحكم بشريعة إلهية ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) .[1]

والخلافة والإمامة بمعنى واحد ، يعني بهما القيادة ، وإن كان مفهومهما متغايرا فالخلافة هي القيادة بعد وفاة النبي (ص) ثم قيادة الأمة الإسلامية تتطلب رجلا يجمع صفات متميزة ، يستطيع من خلالها إدارة شؤون الأمة وأداء وظيفته الكبرى ، وهي الحفاظ على سلامة دين الأمة الإسلامية من التلاعب و الإنحراف .

---

(١) ـ سورة ص . الآية ٢٦ .

والصفات المتميزة للخليفة تتجلى في العلم والأخلاق الرفيعة والسداد في الرأي ، والاستقامة في السلوك ، والصرامة في تطبيق الأحكام . لأن من مهام خليفة المسلمين أن يتابع تطبيق شرع الله بأمانة تامة وببصيرة كاملة ووجدان حي ولا خلاف بين المسلمين في لزوم الإمام أو الخليفة ، وإنما الاختلاف بين السنة والشيعة الإمامية حول طريقة تعيين الإمام أو الخليفة ، والدور الذي يقوم به وهذا الاختلاف يعد من أعظم الاختلافات ، وباقي الاختلافات طبيعية له .

ومجمل الحديث هنا أن الإمامية عند الشيعة الإمامية إنما هي من الرسول (ص) ومختصة بأئمة الاثني عشر من أهل البيت (ع) ، لأن أهل البيت أدرى بما في البيت ، وهذا مجمل البحث عن الإمامة .

- وأما تفصيل البحث عنها فيدور حول أمور :

١ – تعريف الإمامة .

٢ – هل الإمامة من الأصول الاعتقادية أو الفروع العملية ؟

٣ – ما هي شرائط الإمامة ؟

٤ – وما به تنعقد الإمامة .

تعريف الإمامة عند الإمامية :

الإمامة عند الإمامية عبارة عن رئاسة عامة إلهية في أمور الدين والدنيا كالنبوة . والفرق بين النبي (ص) والإمام أن النبي والرسول صلى الله عليه وسلم طرف للوحي الإلهي ، والإمام ليس بطرف ، بل شأن الإمام هو التبليغ والبيان وتفصيل المجمل ، وتفسير المعضل ، وصون الدين من التحريف والدس .

* وأما الإمامية عند أهل السنة ، فلها معان متشابهة :

الأول : ((الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا)) [1]

الثاني : ((الإمامة خلافة عن الرسول (ص) في إقامة الدين ، بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة)). [2]

الثالث : ((الإمامة نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا)) . [3]

هل الإمامة من أصول الدين أو فروعه :؟؟

عند الشيعة الإمامية من أصول الدين كالنبوة ، فيجب الاعتقاد بها مثل وجوب الاعتقاد بالنبوة قال الشهيد في رسالة ((حقائق الإيمان)) : إن التصديق بإمامة الاثني عشر إماما أصل من أصول الايمان عند الطائفة المحقة الإمامة .

- وأما الإمامية عند أهل السنة ، فقد اتفقت كلمتهم على أنها من فروع الدين . قال في ((المواقف)) : ((وهي عندنا من الفروع وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسيا بمن قبلنا)) . [4]

- ● شرائط الإمام :

إختلف السنة والشيعة في الشروط التي ينبغي توفرها في الإمام . وكذلك اختلفت السنة فيما بينهم وفيما يلي سنذكر أقوال علماء السنة في الشروط التي يجب توفرها في الإمام .

---

[1] – المواقف ، ص ٣٩٥ .

[2] – المصدر السابق .

[3] – مقدمة ابن خلدون ، ص ١٩١ .

[4] – المواقف ، ص ٣٩٥ .

قال الباقلاني في ((التمهيد)) ص : ١٨١ : يشترط في الإمام :

١ - أن يكون قريشيا من صميم .

٢ - وأن يكون في العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضيا من قضاة المسلمين .

٣ - وأن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب وتدبير الجيوش والسرايا ، وسد الثغور ، وحفظ الأمة والانتقام من ظالمنها ، والأخذ لمظلومها .

وقال عبد القاهر البغدادي في ((أصول الدين)) ص : ٢٧٧ :

إن الذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف :

أحدها : العلم ، وأقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام ، وفي سائر الأحكام .

الثاني : العدالة والورع ، وأقل ما يجب له من هذه الخصله أن يكون ممن يجوز قبول شهادته تحملا وأداء .

الثالث : الاهتداء إلى وجوه السياسة وحسن التدبير ، وأن يعرف مراتب الناس فيحفظهم عليها ، وأن يكون عارفا بتدبير الحروب .

الرابع : النسب من قريش

*** * أما شرائط الإمام عند الإمامية وهي أربعة :**

الأول :العصمة ، وهي : قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ بحيث لا يترك واجبا ، ولا يفعل محرما مع قدرته على الترك والفعل .

فالمعصوم من بلغ من التقوى حداً لا تتغلب عليه الشهوات والأهــــواء ، وبلغ من العلم في الشريعة مرتبة لا يخطيء معها أبداً .

والإمامية : يشترطون العصمة بهذا المعنى في الإمام ، كما هي شــــرط في النبي باتفاق المسلمين .

- **قال الشيخ المفيد في ((أوائل المقالات)) :**

((إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام ، وإقامة الحــــدود ، وحفظ الشرايع ، وتأديب الأنام معصومون ، كعصمة الأنبياء ، لا تجــوز عليهم كبيرة ولا صغيرة .. ولا سهو في شيء من الدين ، ولاينسون شيئا من الأحكام)) .

- **- وقال العلامة الحلي في نهج الحق :**

((ذهب الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش ، من الصغر إلى الموت ، عمدا وسهوا ، لأنهم حفظـــة الشرع والقوامون به ، حالهم في ذلك كحال الأنبياء ، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ، ورفع الفساد ، وحســـم مادة الفتن ، ولأن الإمام يمنع القاهر من التعدي ويحمل الناس على فعـــل الطاعات ، واجتناب المحرمات ، ويقيم الحدود والفرائـــض ، ويؤاخـــذ الفساق ، ويعزر من يستحق التعزير ، فلو جـــازت عليـــه المعصيـــة ، وصدرت عنه ، انتفت هذه الفوائد وافتقر إلى إمام آخر)) .

ويؤكد على اعتبار العصمة في الإمام العقل والنقل .

الثاني : أن يكون الإمام منصوصا عليه ، لأن العصمة من الأمور الباطنية التي لايعلمها إلا الله ، فعليه تعيين الإمام على الخلق بواسطة الرسول (ص) .

الثالث : أن يكون الإمام أعلم وأفضل من جميع الأمة بعد النبي (ص) ولايجوز أن يكون الإمام فاضلا مع وجود الأفضل ، وذلك لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلا .

- – **قال الشيعة الإمامية** : يجب أن يكون الإمام أفضل من جميع رعيته في صفات الكمال كلها من العلم والفهم والرأي والحزم والكرم وحسن الخلق والعفة والزهد والعدل والتقوى والسياسة الشرعية ونحوها .

الرابع : أن يكون الامام أشجع الأمة لدفع الفتن ، واستئصال أهل الباطل ونصرة الحق .

- – والشيعة قد أراحوا واستراحوا ، وسلموا أمرهم لله ورسوله ، و لم يبق منهم من يدعي الخلافة لنفسه ، أو يطمع فيها ، لا بالنص ولا بالاختيار.
- – فإن الشروط المعتبرة في الإمام عند السنة والإمامية قد جمعت فيهم ، فهم أئمة المسلمين بالاتفاق نظرا إلى اتصافهم بأوصاف الإمام عند جميع المسلمين فإنهم اتفقوا على طيب عنصرهم وكريم صفاتهم .

ما تنعقد به الإمامة :

الإمامية عند الشيعة الإمامية منصب إلهي كالنبوة فيجب أن يكون الإمام منصوبا من قبل الله بواسطة الرسول (ص) .

* – وأما أهل السنة ، فقد اختلفوا على أقوال :

قال التفتازاني : في ((شرح المقاصد)) : ج ٢ ص : ٢٧٢ :

((وتنعقد الإمامة بطرق :

أحدها : بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم من غير اشتراط عدد ، ولا اتفاق من سائر البلاد بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته .

الثاني : استخلاف الإمام وعهده وجعله الأمر شورى بمنزلة الاستخلاف إلا أن المستخلف عليه متعين ، فيتشاورون ويتفقون على أحدهم .

الثالث : القهر والاستيلاء ، فإذا مات الإمام ، وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف ، وقهر الناس بشوكته ، انعقدت الخلافه له .

- – قال الأسفرائني الشافعي في كتاب ((الجنايات من الينابيع على مافي إحقاق الحق)) ج ٢ ص : ٣١٧

((وتنعقد الإمامة بالقهر والاستيلاء))

- – قال الماوردي في ((الأحكام السلطانية)) ص : ٦-٧

اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى ، فقالت طائفة : لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ، ليكون الرضا به عاما ، والتسليم لإمامته إجماعا .

- – وقالت طائفة : أقل ما تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضاء الأربعة .

- – وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولاها احدهم برضاء الاثنين ، ليكونوا حاكما وشاهدين ، كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين .
- – وقال إمام الحرمين في ((الإرشاد)) ص ٤٢٤ : ((اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة ، وإن لم تجمع الأمة على عقدها)) إلى أن قال : ((بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحل والعقد)) .
- – وقال القاضي في ((المواقف)) ص : ٣٩٩ : ((إن الإمامة تثبت بالنص من الرسول (ص) ومن الإمام السابق بالاجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد)) إلى أن قال : ((بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف ، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك ، كعقد عمر لأبي بكر وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلا عن إجماعهم هذا ، ولم ينكر علية أحد)) .
- – وقال الباقلاني في ((التمهيد)) ص ١٧٨ : إن طريق تولية الخليفة بأحد أمرين :

أحدهما : ((مبايعته بالخلافة ولو من رجل واحد من أهل الحل والعقد))

ثانيهما : ((العهد إليه من الخليفة القائم قبل وفاته باعتبار أن الخليفة وكيل الأمة في إدارة شؤونها ، فله أن يعهد بالأمر من بعده لمن يراه أهلاً للقيام مقامه متى لحق بربه)) .

- – قال ابن حزم في كتاب ((الفصل)) ج ٤ ص ١٠٨ :

((إن عقد الإمامة يصح بوجوه أولها وأفضلها وأصحها أن يعهد الإمام القائم إلى إنسان يختاره إماما بعد موته ، كما فعل الرسول (ص) بأبي بكر ، وكما فعل أبو بكر بعمر ، وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر ابن عبد العزيز . ثم ذكر ابن حزم أن الرسول نص نصا جليا على استخلاف أبي بكر)) راجع كتابه ((الفصل)) ص : ١٦٩ .

ثم قال ابن حزم : الوجه الثاني : إذا مات إمام و لم يكن عهد إلى أحد ، أن يبادر رجل مستحق للإمامة ، فيدعو إلى نفسه ولا منازع ، فيكون فرضا علينا حينئذ اتباعه والانقياد لبيعته والتزام إمامته وطاعته .

الوجه الثالث : أن يجعل الإمام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين إلى رجل ثقة ، أو إلى أكثر من واحد ، كما فعل عمر بن الخطاب قبيل موته ، وليس عندنا في هذا الوجه إلا التسليم لما اجمع عليه المسلمون .

إلى أن قال ابن حزم :

((فبأحد هذه الوجوه تصح الأمامة ، ولا تصح بغير هذه الوجوه البتة))

والأقوال المذكورة أقوال علماء أهل السنة فيما تنعقد به الإمامة .

المشكلة :

إذا كانت الموازين الصحيحة قد وضعت في الإنسان بالفطرة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد انزل شرائعه وتعاليمه كموازين فيها وإذا تعارضت المصالح واختلفت الأهواء فما هي المشكلة إذا ؟؟

في الغالب لا تكون هناك مشاكل في زمن التنزيل أي زمن النبي (ص) فكلما حدث اختلاف في الأهواء أو تعارض في المصالح بين الناس جاؤا إلى النبي لأنه كان الميزان في زمانه ولكن المشكلة نشأت بعد زمن

النبي صلوات الله عليه فقد ظهرت بعده وبعـــد الجيـل الأول (جيـل الصحابة رضوان الله عليهم) الانحرافات الفكرية ، وتغلب الهوى وانتشـر الدجالون ، وأذكياء الكذابين وغلب أصحاب المصالح الخاصـة فغلبـوا مصالحهم على المصالح العامة . ثم غلفوا تلك الإنحرافات والدجل والكـذب بغلاف الدين . فوضع كل صاحب هوى أو فكر الروايات عن رسول الله (ص) ، التي تدعم هواه وفكره وفسر القرآن بما يوافق هواه ، فتمزقـت الأمة إلى طوائف وجماعات ومذاهب ، تتخاصم فيما بينها وتحتج علـى بعضها البعض بروايات وظفوها لخدمة طوائفهم ومذاهبهم وهكذا استمر الخصام ، إلى أن تحول إلى ميراث توارثته الأجيال وهكذا انتشر الفسـاد وعمت البلوى واختلط الأمر وكثر الضباب حـول الحقيقـة فلبـس المفسدون لباس المصلحين ، وتحولت الأمة إلى دوائر صراع كل يدعـي وصلا بليلى ، ووقف الناس حيارى لمن تقر له ليلى بالوصال . ونظـر الناس بعضهم لبعض ورجعوا إلى السؤال الأول أين الحقيقة ؟ وما هـو الصحيح .

الخلاصـــــة :

قال تبارك وتعالى :

((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقـل حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين)) الأنبياء : ٤٧ .

حيث تخبر الآية الشريفة بأن الله سبحانه قد وضـع الموازيـن العادلـة الصحيحة ليزن الناس بها أعمالهم ليعملوا الصالح منها والفاسد اسـتعدادا ليوم القيامة . يوم الحساب على تلك الأعمال فلا ظلم ولا تظالم .

وقد جاءت الموازين من الله على شكل شرائع وأديان نزلت على رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين فإذا ثبت بالقطع واليقين رسالة رسول كان ما جاء به هو عين موازين الصلاح ومقاييسه لذلك لما ثبتت دعوى موسى عليه السلام بأنه رسول الله يقينا لذلك فقد صحت دعواه بأنه هو المصلح وفرعون هو المفسد وأما دعوى فرعون فهي غير الواقع .

وكذلك لما ثبتت رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كل ما نزل من الله سبحانه وتعالى من شرائع وتعاليم هي الميزان .

وأقول أخيرا : أن الله تعالى أراد أن تكون أمة محمد (ص) خير أمة أخرجت للناس فلا بد لها من قيادة حكيمة رشيدة قوية شجاعة عالمة تقية زاهدة في أعلى درجات الإيمان ، وهذا لا يتأتى إلا لمن اصطفاه الله تعالى للقيادة والزعامة قال تعالى :

((الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)) سورة الحج ٧٥

*** *** *** ***

الفصـــل الرابـــع

ويتابع قوله في الإمام الصادق :

((إنني عندما أنظر إلى هذا النشاط الفقهي في شخص الإمام الصـــادق أجد أن له مذهباً وأنه ربما أتفق في مذهبه مع مذاهب أخـــرى وربمـــا خالف ولكن هل أعد هذا الخلاف ينبئ على انشطار الأمة الإســـلامية إلى شطرين ، معاذ الله إنه كما قلت لكم اختلاف تعـــاوني وليـــس خلاف شقاق ولانزاع قط)) .[1]

دعوتنا إلى الإصلاح :

قال تعالى :

(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهـــم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) .[2]

وقال تعالى :

((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتـم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفـــرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلـــم تهتـــدون ١٠٣ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـــر وأولئك هم المفلحون ١٠٤ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد مـــا

---

[1] – تابع للمقال الذي ألقاه الدكتور البوطي في مؤتمر الامام جعفر الصادق عام ١٩٩١ .

[2] – الأنعام ١٥٩ .

جاءهم البينات ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جـــــاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ١٠٥)) .[1]

في آية سورة الإنعام تصريح با لتبري الكامل لله والرسول مـــــن دعـــاة التفرق والتمزق ، وأن هؤلاء الناس ليسوا من الإسلام في شيء مهما كان ادعاؤهم للإسلام وادعاؤهم لبيان الحق أو إظهاره ، أو حتى هؤلاء الذيـــن ينادون بالوحدة الإسلامية بشرط أن ينتمي الآخرون إلى مذهبهم والإيمـان بما يؤمنون به ، وهناك دعاة آخرون ينادون بالوحدة بشرط أن يتمســـــك أصحاب كل مذهب بمعتقدات مذهبه ولا يترك منه شيئا .

وهذه الدعوة في حقيقتها شعار إعلامي يخلو من العمــــل علـــى تطبيقه . لأن كل مذهب فيه ما يدعو إلى الخلاف والفرقة .

وأما في الآية ١٠٣ من سورة آل عمران تصوير بديــــع للحالة الاجتماعية والسياسية التي كان عليها الناس قبل الإسلام من تمـــزق وخوف ، وحروب ، وشقاق بسبب تفشـــــي العنصريـــة والشـــعوبية والطائفية وغير ذلك ، فصورهم القرآن بهذه الحالة المزرية بأنهم قوم أشعلوا حفرة من النار ووقفوا على حافتها ، ولولا فضل الله عليـــــهم بإرســــال الإسلام إليهم لسقطوا فيها وهلكوا واحترقوا بنارهم التي أشعلوها .

والآية ١٠٥ من سورة آل عمران شددت في النهي عـــــن الاختلاف بشكليه التعاوني والشقاقي والفرقة والتمزق وجاء هذا النـــــهي على صورة النهي عن التشبه بقوم تفرقوا واختلفوا بعدما جاءتهم البينـات ، فكان نتيجة ذلك أن أذاقهم الله العذاب العظيم . في الدنيا بأيد أعدائـــــهم وفي الآخرة بيده تبارك وتعالى ، والنهي عن شيء إذا جاء بهذه الصـــــورة

---

[1] — آل عمران ، ١٠٣ — ١٠٥ .

يكون أبلغ وأشد من غيره من صور النهي . وذلك لأن الناهي يضع أمامنا تجربة لأقوام سبقونا لننظر إليها ونتأمل فيها ونعتبر منها .

وأما الآية ١٠٤ من سورة آل عمران التي توسطت الآيتين فقد حملت مسؤولية نجاة الأمة على كاهل أمة من المسلمين – طائفة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . والإصلاح من أهم مصاديق الخير ، وبث روح العداء والفتنة من أسوأ مصاديق المنكر .

لذلك نلاحظ التقابل في وصف دعاة الإصلاح ودعاة الفرقة . فقال عن دعاة الإصلاح (وأولئك هم المفلحون) ، وقال عن دعاة الفرقة (وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وذكرنا أن الآية رقم ١٠٣ بينت حالة الناس قبل الإسلام من تمزق وخوف وفقر وتخلف وحروب . ولما جاء الإسلام العزيز واعتصم الناس به وحدهم جميعا فبنوا أمة إسلامية عظيمة سجل لها التاريخ ما شهدت بعظمتها ومجدها وتقدمها الأرض بأكملها . فكان من الطبيعي بعد أن تركوا الاعتصام بالإسلام ، أن تتمزق جغرافيتهم إلى دويلات هزيلة وإلى أمم كل أمة كفرخ طير مريض ، وإلى مذاهب يدعي كل منها أنه الإسلام الصحيح ، وأن يعودوا إلى حالتهم الأولى التي كانوا عليها قبل الإسلام ، تمزق ، تخلف ، فقر ، مرض ، جهل ، ...،... فإزالة أسباب التوتر والنزاع مسؤولية الدعاة إلى الله والمخلصين من الأمة والمترفعين عن التقوقع داخل المذهبيات والعنصريات .

وأخيرا وليس آخراً :

لا يسعني فضيلة الدكتور إلا أن استميحك عذرا بسؤال يـــــراود دهني ويرافقني وعذرا بطرق باب علمكم الغزير وينبوع رؤيتكم الثاقبة ألا وهو :

إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكـــي تقــع عبادتــه ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليـــس من بينها مذهب الشيعة الأمامية ولا الشيعة الزيديـــة ، فــهل توافقــون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليـــد مذهـــب الشــيعة الأمامية الاثنا عشرية أم توافقون على إتباعه والنهل منه ، أم توافقون علـــى صهر جميع هذه المذاهب بمذهب أم ؟؟

الفصـــل الخامـــس

- وتابـــع قولـــه عن الإمام الصادق :

((بقي هنا أن نطرح أطروحة لماذا لم يروي عنه البخاري . حقاً البخاري لم يرو عنه ربما توهم بعض الناس أن السبب في ذلك تحفظ البخاري تجاه شخص الصادق (رض). ولا والله لا أتصور عاقلاً منا يدرك كيف يقـف البخاري موقف تحفظ عن إنسان أجمعت الأمة على صدقه ، ولكن الأمر ليس كذلك . الأمر كما قال العلماء ، كما قال ابن حجر العســـقلاني كان الامام البخاري يرتاب في السند الذي يصل إلى ســـيدنا جعفـر الصادق وكان هذا هو سبب تحفظه ، ولا أريد أن أفتح الملف عن سند يتعلق بمن أو بما دون جعفر الصادق (رض))) .[1]

تســاؤلات مطروحــة:

١ – كيف يرتاب البخاري في السند الذي يصل إلى سيدنا جعفـــــر الصادق ولايرتاب في السند الذي يصـــل إلى خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ – كان عصر البخاري متقاربا من عصر الإمام جعفر الصادق عليـه السلام فكانت وفاته بمائه عام بعد وفاة الإمام جعفر الصـــــادق (ع) .فهذا يعني أن هناك رواة عاصروا الإمام جعفر الصـــادق وعاصروا البخاري ولابد أن يكون هناك منـــــهم رواة محققـــين

---

[1] – تابع للمقال الذي ألقاه الدكتور البوطي في مؤتمر الإمام جعفر الصادق عام ١٩٩١ .

وصادقين ومحبين للإمام جعفر الصادق (ع) فلمـــاذا لم يؤخـــذ منهـــم .؟؟

٣ – ما هو الهدف الرئيسي والمكنون الناتج عن تحفظ البخاري تجـــاه الإمام الصادق .

٤ – لماذا أخفيت الحقيقة ؟

*** *** *** ***

آراء علماء السنة في البخاري

بين البخاري والذهلي

- يقول ابن خلكان :

((محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري ، وكان أحد الحفاظ الأعيان ، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه القزويني ، وكان ثقة مأمونا))[1]

الذهلي هذا ، كان الإمام أحمد بن حنبل يأمر أولاده وتلاميذه بأخذ الحديث والعلم عنه[2] ثم نجد أن الخطيب البغدادي ينقل عن الذهلي أنه قال :

((القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته ، وحيث يتصرف فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعما سواه من الكلام في القرآن ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر ، وخرج عن الإيمان وبانت منه امرأته ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وجعل ماله فيئا بين المسلمين ، ولم يدفن في مقابر المسلمين ، ومن وقف قال : لاأقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر ، ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم)) .

وكان البخاري يخالفه في هذا الرأي السائد بين علماء الكلام فلما ورد نيسابور واتضحت أفكاره في هذا الموضوع ، أمر الذهلي - الذي كانت الرئاسة العامة فيها إليه بمقاطعته ، وقال : ((ومن ذهب بعد مجلسنا هذا

---

[1] - وفيات الأعيان ، ترجمة الذهلي .

[2] - تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

إلى محمد بن إسماعيل البخاري ، فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا مـــــن كان على مذهبه)) .[1]

مما أدى إلى مقاطعة الجميع له ، وانزوائه في المجتمع ، وحقد عليه ســـــكان نيسابور ، فلم يتمكن من البقاء بنيسابور ، وغادرها إلى بخارى ، وقيـــل إنهم أخرجوه منها ، وتركه جميع تلاميذه عدا مسلم ، وأحمد بن مسـلمة ، فقد لزماه وهذه القضية يعتبرها الحفاظ وأصحاب التراجم من أسوأ المحن والمصائب التي مر بها البخاري في حياته .[2]

● - وقفة مع أبي زرعة :

من هو أبو زرعة ؟ يقول فيه الفاضل النووي :

((انتهى الحفظ إلى أربعة ، أحدهم أبو زرعة الرازي من الري)) [3]

أبو زرعة هذا ، على مكانته العلمية الشامخة ، انتقد مسلم واعتبره من طلا الرئاسة ، واعتبر بعض احاديثه غير صحيحة .

فقد نقل الخطيب البغدادي عن سعيد بن عمرو البرذعي قال :

((شهدت أبا زرعة – يعني الرازي – ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج ، ثم الصائغ على مثاله (ويقصد به البخاري) فقال لي أبو زرعة : هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه ، فعملوا شيئا يتشوفـــون به ، ألفوا كتابا لم يسبقوا إليه ليقيموا لانفسهم رئاسة قبل وقتها))

---

[1] – تاريخ البغدادي ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

[2] – تجد تفصيل ذلك في تاريخ بغداد ص ٣٠ – ٣٣ وإرشاد الساري ج١ ، ص ٣٨ ومقدمة فتح الباري ، واستقصاء الأفحام ج ١ ، ص ٩٧٨ .

[3] – تهذيب الأسماء واللغات ، ج١ ، ص ٦٨ ويروي فيـــه الخطيب البغدادي عـــن علي بن حجر أنه قال : ((أخرجت خراسان ثلاثة ، أولهم أبو زرعة الرازي بالري)) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٨ – المعرب .

* نظرة في أقوال ابن حجر :

قال ابن حجر العسقلاني :

((بقي الكلام فيما علل من الاحاديث المسندات . وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما في كتاب البخاري ، وإن شاركه مسلم في بعضه ، مائة وعشرة أحاديث . منها ما وافقه مسلم على تخريجه ، وهو اثنان وثلاثون حديثا .[1]

ويذكر أبن حجر في مقدمته أسماء أكثر من ثلاثمائة من رجال البخاري الذين ضعفهم السابقون من المحدثين وعلماء الرجال ، وقد أشار في ذيل من سماهم إلى أسباب تضعيف كل منهم وجرحه .[2]

- **كلمة السيد رشيد رضا ومحمد عبده :**

وقبل أن نتطرق إلى كلمة السيد رشيد رضا لابد أن نقف قليلا عند كلام ابن حجر حيث قال :

((وقد انتقده الحفاظ في عشرة ومئة حديث منها (٣٢) حديثا وافقه مسلم على تخريجه و (٧٨)حديثا ، انفرد هو بتخريجه . وكذلك ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو ثمانين رجلا . والذي انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري (٦٢٠) رجلا ، المتكلم بالضعف منهم (١٦٠) رجلا ، والأحاديث التي انتقدت عليهما ، بلغت مئتين حديث وعشرة ، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين ، وباقي ذلك يختص بمسلم)) .[3]

---

(١) — مقدمة فتح الباري ، ص ٨١ .

(٢) — مقدمة فتح الباري ، ج٢ ، ص ١١١ — ١٨٣ .

(٣) — هدى الساري ، ج ٢ ، ص ٨١ .

● وقال السيد محمد رشيد رضا ، بعد أن عرض للأحاديث المنتقدة للبخاري ما يلي :

((وإذا قرأت ماقاله الحافظ فيها رأيتها كلها في صناعة الفن ولكنك إذا قرأت الشرح نفسه ، رأيت له في أحاديث كثيرة ، اشكالات في معانيها ، أو تعارضها مع غيرها ، مع محاولة الجمع بين المختلفات . وحل المشكلات ، بما يرضيك بعضه دون البعض)) .[1]

● – وقال الشيخ محمد عبده في كلامه عن حديث ابن أبي :

((الحق أن هذا الحديث معارض للروايتين . فالذين يعنون بأصول الدين ودلائله القطعية أكثر من الروايات والدلائل الظنية ، لم يجدوا ما يجيبون به عن هذا التعارض إلا الحكم بعدم صحة الحديث)) .[2]

● – كلمة الدكتور أحمد أمين :

يقول الدكتور أحمد أمين في شأن الصحيحين :

((إن بعض الرجال الذي روى لهم (أي البخاري) غير ثقاة . وقد ضعف الحفاظ من البخاري نحو الثمانين . وفي الواقع هذه مشكلة المشاكل ، فالوقوف على أسرار الرجال محال . نعم أن من زل زلة واضحة سهل الحكم عليه ، ولكن ماذا يصنع بمستور الحال)) ثم يضيف :

ولعل من أوضح المثل في ذلك عكرمة مولى ابن عباس ، وقد ملأ الدنيا حديثا وتفسيرا فقد رماه بعضهم بالكذب ، وأنه يرى رأي الخوارج ، وبأنه كان يقبل جوائز الأمراء ، ورووا عن كذبه شيئا كثيرا .

---

(1) –أضواء على السنة المحمدية (محمود أبو رية) ، ص ٢٥٠ .

(2) – المنار ، ج ١٠ ، ص ٥٨٠ .

ثم يذكر الدكتور نماذج من كذبه ويقول :

((فالبخاري ترجح عنده صدقه ، فهو يروي له في صحيحه كثيرا ، ومسلم ترجح عنده كذبه ، فلم يرو إلا حديثا واحدا في الحج ، ولم يعتمد عليه وحده ، وإنما ذكره تقويه لحديث سعيد بن جبير في الموضوع نفسه)) .[1]

● - بين البخاري وابن المديني :

وذكر ابن حجر العسقلاني القضية التالية:

((قال مسلمة : وألف علي بن المديني كتاب العلل ، وكان ضنينا به ، فغاب يوما في بعض ضياعه ، فجاء البخاري إلى بعض بنيه ، وراغبه بالمال على أن يرى الكتاب يوما واحدا فأعطاه له فدفعه إلى النساخ فكتبوه له ورده إليه ، فلما حضر علي تكلم بشيء فأجابه البخاري بنص كلامه مرارا ، ففهم القضية واغتم لذلك فلم يزل مغموما حتى مات بعد يسير ، واستغنى البخاري عنه بذلك الكتاب وخرج إلى خراسان ووضع كتابه ((الصحيح)) فعظم شأنه وعلا ذكره)) .[2]

● - ويقول العلامة المرحوم أسد حيدر بشأن الصحيحين :

(قطع البخاري شوطا بعيدا من الشهرة ، ونال قبولا دون غيره من كتب الحديث ، فأصبحت له منزلة لا يشاركه بها غيره ، ومن العسير مؤاخذته بشيء ، لأن ذلك يدعو إلى الرمي بالبدعة ، والخروج عن سبيل المؤمنين) .[3]

---

(١) – ضحى الإسلام .

(٢) – تهذيب التهذيب ، ج ٩ ، ص ٥٤ .

(٣) – قواعد التحدث ، ص ٢٤١ (اسد حيدر)

ويتابع العلامة أسد حيدر قوله :

((ولهذا تهيب أكثر الحفاظ نقده ، ووقفوا أمامه موقف خضوع وتسليم .

يقول الذهبي في ذكر لبعض الأحاديث ولولا هيبة الصحيح لقلت إنها موضوعة وذهب ابن حزم فيقول إن أكثر الناس يزعمون أنه أعظم كتاب على وجه الأرض أو أنه (عدل القرآن ، وأنه إذا قرأ في بيت أيام الطاعون حفظ أهله منه ، وأن من ختمه على أي نيه حصل ما نواه ، وأنه ما قرأ في شدة ، إلا فرجت ، ولا ركب به في مركب فغرقت))

* العتب الجميل :

- قد يزعم بعض الناس أن الذوات كلها متساوية تبعا لقول بعض المتكلمين وذلك غلط ظاهر . وقد جازف بعض الناس منهم فقال إن القول بتساوي الذوات هو قول جميع أصحاب الملل والنحل .
  ونحن لا ندعي الإحاطة بأقوال أهل الملل ، غير أننا لا نفهم كيف تحكم اليهود والنصارى والمجوس بأن ذوات موسى و عيسى وكونفوشيوس مساوية لذوات فرعون ويهوذا الأسخريوطي .
- وقد ذكر ابن بطوطة أنه رأى في بلاده بعض المخازي فتراجع عن رحلته .
- ويقال ان الجرح منه ما هو مقبول مطلقا ومنه ما هو مردود مطلقا ومنه ما يقبل مفسرا ويرد غير مفسر .
- ويقول التاريخ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

[1]– قواعد التحديث ، ص ٢٥٠ (أسد حيدر) .

- بأنه حامل راية علم الرسول وإمام علماء العترة الفحول عـــالم قريش ونور عينها وجهبذ السنة السنية وإمام جماعتها وقائد قادتها.

والخلاصـــــــة :

إن إعراض الإمام البخاري عن الأحاديث المروية عن أئمة آل بيت النبوة .

فإني أرى فيه رأيا ذلك أن هذا الإعراض عن أحاديث هؤلاء السادة هو من أفعال القلوب التي لا نستطيع الحكم عليها إلا بعد الاستقصاء التـام وكما نستطيع أن نقول : إن إعراضه عن الأحاديث المروية عن الأئمـــة كان آتيا بدافع عدم التوثيق ، - نستطيع بلا شك ولا ريب — أن نقول : إنه امتنع عن روايتها خوفا من حكام العباسيين الذين كانوا ينـــاصبون آل محمد العداء . وهو يعلم أنه لو روى عنهم لأهمل كتابه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لقضي عليه وقبر وهو في مهده .

*** *** *** ***



الباب الرابع

المتعة في الإسلام



الفصـــل الأول

مفاهيم المتعة وأثرها الإصلاحي عند الشيعة

- – معنى لفظ المتعة وأحكامها ·

إن لفظ المتعة يعتبر الاستمتاع والالتذاذ .

والاصطلاح الشرعي : عبارة عن عقد مخصوص يكون رابطة زوجية إلى أجل مسمى وبمهر معلوم ويتوقف العقد على شرط الإيجاب والقبول كعقد النكاح الدائم بكافة شروطه ، ويبطل عند عدم ذكر المهر والأجل .

- – أحكام المتعـــــة :

١ – أنها تحرم على غير الكتابية من الكفار .

٢ – والأمه على الحرة من دون إذنها .

٣ – وبنت الأخ والأخت من دون إذن العمة والخالة .

٤ – يكره العقد على الزانية .

٥ – وكذلك على البكر من غير إذن الأب .

٦ – ولا حد للمهر ولو وهبها المدة قبل الدخول ثبت نصفـــه ، ولـــو أخلت ببعض المدة سقط بنسبته ولو ظهر بطلان العقد فلا مهر قبل الدخول ، وبعده المهر مع جهلها ، ويلحق به الولد أي بـــالزوج المتمتع ، وإن عزل ، ولو نفاها فلا لعان ، ولايقع بها الطـلاق ولا لعان ولا ظهار . وتعتد بعد الأجل بحيضتين أو بخمسة وأربعـــين يوما وعلى قول بستين يوما ، وفي الموت بأربعة أشهر وعشر أيام .

أما التوارث بينهما ففيه خلاف ينحصر في ثلاثة أقوال :

الأول : ترث مع الشرط .

الثاني : ترث بعدم الشرط .

الثالث : لاترث وإن شرط

● **– المتعة في اللغـــة :**

للمتعة معان ، منها المنفعة : قال تعالى (متاع الحياة الدنيا) ومنها الـزاد قال سبحانه (متاعا لكم وللسيارة) . ومنها البقاء ، قال عز من قال : (فامتعه قليلا) . ومنها العطاء ، قال تبارك أسماؤه : (متاعا بالمعروف) أما الفقهاء فقد تكلموا عن المتعة بمعنى العطاء ، وأوجبوه علـــى الـذي يتزوج امرأة دون أن يسمي لها مهرا حين العقد ، ثم يطلقها قبل الدخـول أوجبوا عليه أن يهدي المطلقة شيئا يتناسب مع وضعه المادي من الـــثراء والعوز ، واستدلوا على ذلك بالآية ٢٣٦ من سورة البقرة : (لا جنـــاح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهـــن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين)).

وأيضا تكلم الفقهاء عن المتعة بمعنى الزواج المؤقت ، واجمعوا قـولا واحدا السنة منهم والشيعة على أن الإسلام شرعها . ورسول الله صلـــى الله عليه وسلم أباحها ، وأنها عقد زواج شرعي يكون رابطة زوجيـــة إلى أجل مسمى وبمهر معين .[1]

زواج المتعة وأحكامـــه :

أولا – الإيجاب والقبول ، وألفاظ الإيجاب في عقد زواج المتعة ثلاثـــة :

متعت ، وزوجت ، وأنكحت ، وأيها حصل وقع الإيجاب بـــه ، ولا ينعقد بغيرها .

---

[1] – فقه الإمام جعفر الصادق ، ج ٥ ، ص ٢٤٧

وصيغة العقد كالأتي :

متعتك أو زوجتك أو أنكحتك نفسي إلى مدة كذا على مهر قدره كذا ، فيقول الزوج : قبلت .

ويجوز التوكيل في إجراء عقد زواج من كل من الزوجين أو إحداهما .

ثانيا – ذكر المهر ، يشترط في الزواج المنقطع ذكر المهر مقدرا بقدر معلوم ، فلو ترك ذكره بطل العقد .

ثالثا – ذكر الأجل ، فلو ترك ذكر الأجل بطل العقد . فعن أبي عبد الله (ع) قال : يشارطها ما شاء من الأيام .[1]

ولا يصح تجديد العقد على المتمتع بها قبل انقضاء الأجل أو بذل المدة ، فلو كانت المدة شهرا وأراد الازدياد لابد أن يهبها المدة ثم يعقد عليها .

رابعا – الإشهاد والإعلان ، لا يجب في زواج المتعة الإشهاد والإعلان بل يستحبان ، ولا يعتبر إذن الولي وإن كان أحوط إذا كانت المتمتع بها بكرا . فعن زرارة قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن رجل تزوج متعة بغير شهود ، قال : لابأس .[2]

وسئل موسى بن جعفر (ع) : هل يصلح للرجل أن يتزوج المرأة متعة بغير بينه ؟

فقال : إن كانا مسلمين مأمونين فلا بأس .[3]

---

[1] – الاستبصار ، الجزء الثالث ، ص ١٥١ حديث رقم ٥٥٢ .

[2] – المرجع نفسه ص ١٤٨ حديث ٥٤٣ .

[3] – وسائل الشيعة ، الجزء الرابع عشر، ص ٤٨٤ .

خامسا – لا يـجوز التمتع بغير المسلمة والكتابيـة ، والمجوسـية عنـد الضرورة .كما لا يجوز التمتع بذات البعل ، ولا بذات العدة ، ولا بالزانية المشهورة ، ولا يجوز التمتع با لأمه على الحرة إلا بإذنها .

ولا يجوز الجمع بين الأختين في المتعة حتى في العدة .

ولا يتمتع على العمة بنت أخيها .

ويجوز التمتع بأكثر من أربع نساء وإن كان عنده أربع زوجـات بالدائم .

فعن أبي عبد الله (ع) سئل هل المتعة من الأربع ؟

فقال : تزوج منهن ألفا فإنهن مستأجرات .[1]

سادسا – حكم التمتع بالبكر ، هناك تباين في التمتع بالبكر هل يجـوز على كراهية دون إذن الأب ، أو لا يصح العقد إلا بـإذن الأب . بعض الفقهاء يشترط إذن الأب في صحة الزواج دائما كـان أو منقطعا ، والبعض يقول إنها إذا كانت رشيدة بالغة فـهي تملـك الحرية في الزواج :

* – **أما فتوى السيد الخوئي في هذا الموضوع :**

يقول السيد الخوئي : لابد مـن إذن الأب في الـزواج الدائـم وزواج المتعة وكذلك هناك روايات تجوز التمتع بالبكر لكن علـى كراهية ، فعن أبي عبد الله (ع) سئل عن الرجل يتزوج البكـر متعة ، فقال : يكره للعيب على أهلها .[2]

---

(1) – وسائل الشيعة ، الجزء ١٤ ، ص ٤٤٦ .

(2) – المرجع نفسه ص ٤٥٨ .

سابعا – حكم التمتع با لأماء يجوز

فعن الرضا (ع) سئل أيتمتع بالأمة بإذن أهلها ؟قال: نعـــم إن الله تعالى يقول : (فانكحوهن بإذن أهلهن) .[1]

ثامنا – حق الاشتراط في عقد المتعة ، يحق للرجل أن يشترط على المتمتع بها أن لا يطلب ولدها ، وهو عبارة عن العزل ، وهـــذا الشــرط مؤكد لما ثبت شرعا عن أهل البيت (ع) ، فقد سئل أبا عبـــد الله (ع) عن العزل فقال :

((ذاك إلى الرجل يصرفه حيث يشاء)) [2]

وفي رواية أخرى : الماء ماء الرجل يضعه حيث يشاء .

ويجوز على المتمتع بها اشتراط الاستمتاع بما عدا الفرج لما ورد عــن أهل البيت (ع) . فعن عمار بن مروان عـــن أبي عبـــد الله (ع) قـــال : قلت رجل جاء إلى امرأة فسألها أن تزوجـــه نفســـها ، فقالت : أزوجك نفسي على أن تلتمس مني ماشئت مـــن نظـــر والتماس وتنال مني ماينال الرجل من أهله إلا أن لاتدخل فرجك في فرجي وتتلذذ بما شئت فإني أخاف الفضيحة ، قال ليس له إلا ما اشترط .[3]

تاسعا – ولد المتعة ، يثبت النسب بين الزوجين ومن يتولد منهما ، لأنـــه ولد لهما جاء بعقد شرعي لا من الزنى والسفاح .

---

(1) – الاستبصار ، ج ٣ ، ص ١٤٩ .

(2) – وسائل الشيعة ، ج ١٤ ، ص ٤٩٠ .

(3) – المرجع السابق ، ص ٤٩١ .

عاشرا – عدة المتعة ، لا يقع على المتمتع بها طلاق وإنما تبين بانقضاء المدة أو هبتها . فعن أبي عبد الله (ع) قال : فإذا انقضى الأجل بانت بغير طلاق .[1]

حادي عشر – الميراث في المتعة ، لا يكون توارث بزواج المتعة إلا بالشرط . فعن الرضا (ع) قال : تزويج المتعة نكاح بميراث بغير ميراث ، إن اشترطت كان وإن لم تشترط لم يكن .[2]

*** *** ***

[1] – وسائل الشيعة ، ج ١٤ ، ص ٤٩٥ .

[2] – الاستبصار ، ج ٣ ، ص ١٤٩ .

زواج المتعـــة في القرآن

نص القرآن على زواج المتعة :

إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في كتابه العظيم آية في تحليل نكاح المتعة : قال تعالى : (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة)[1]

- – ذكر الإمام ابن حزم الأندلسي إمام أهل الظاهر قوله :

(إن نكاح المتعة كان حلالا في عهد رسول الله صلى الله عليه وســـلم ثم نسخ على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم) .[2]

فقوله كان حلالا على عهده صلى الله عليه وسلم يدل على وجود النـــص في القرآن الكريم بذلك .

وجاء في كتاب معرفة الناسخ والمنسوخ لأبي عبد الله محمد بــــن حزم أن الآية العاشرة من سورة النساء وهي قوله تعالى : (فما اســـتمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) نسخت بقوله صلى الله عليه وسلم : إني كنت أحللت هذه المتعة ألا وأن الله ورسوله قد حرماها ألا فليبلـــغ الشاهد الغائب .

سؤال : هل نسخت آية المتعة :

قرر أغلب العلماء عليهم الرحمة من أن القرآن ينســـخ بـــالقرآن والسنة المتواترة أو بأحدهما ، وكذلك تنسخ السنة المتواترة بالكتـــاب أو بمثلها ، أما الشافعي رحمه الله قال بأن القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن وحده ،

---

(1) – آية ٢٤ من سورة النساء .

(2) – كتاب المحلى ، ج ٩ ص ٥١٩ – ٥٢٠ .

ولكن العلماء بأجمعهم اتفقوا على ألا ينسخ الكتاب الحكيم والسنة الشريفة بخبر الآحاد ، وقد خالفهم في ذلك الإمام الشافعي وحده في هذا القول .

**** - وللشيعة الإمامية :قول في هذا ، أي يجوز النسخ بخبر الواحد المعتبر((ومعنى النسخ في كلام العرب كما يقول ابن سلامة :
هو الرفع للشيء وجاء الشرع بما تعرف العرب إذ كان الناسخ يرفع حكم المنسوخ)) .[1]

آية المتعة من المحكمات لم يطرأ عليها نسخ :

قد احتج البعض على أن المتعة قد نسخت بآي من الكتاب الكريم وأنها لم تكن من المحكمات وقد وجب الرد على القائلين بوقوع النسخ في القرآن الكريم ، وأن الآيات الشريفة التي يستدلون بها على النسخ هي :

١- ((والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين)) .[2]

٢ - ((لكم نصف ما ترك أزواجكم)) .[3]

٣ - ((إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)) [4]

---

[1] – عن كتاب أساس البلاغة للزمخشري ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ، وكتاب المعالم في الأصول .

[2] – آية ٢٤ من سورة النساء .

[3] – آية ١٢ من سورة النساء .

[4] – آية ١ من سورة الطلاق .

* وحيث ثبت مما تقدم من فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن المتمتع بها زوجة ولها وعليها كافة الحقوق والواجبات الزوجية ، فيكون الاحتجاج بهذه الآيات على النسخ باطل .[1]

ومما يؤيد قولنا هذا قول الحجة الإمام الزمخشري [2]، فقد ذكر في تفسير الآية ((والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين)) آية المؤمنون ٥-٦ وسورة المعارج الآيتين ٢٩-٣٠ .

قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة ، قلت لا ، لأن المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صح النكاح .

هذا شيء والشيء الآخر هو أن الآيات التالية :

١ - (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) آية ٥ — ٦ من سورة المؤمنون ، وآية ٢٩-٣٠ من سورة المعارج .

٢ - (لكم نصف ماترك أزواجكم) آية ١٢ من سورة النساء .

٣ - (إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) آية ١ من سورة الطلاق .

هي آيات مكية

أما آية المتعة :

(فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) آية ٢٤ من سورة النساء فهي نزلت بعد الهجرة ، ولايمكن تقديم الناسخ على المنسوخ ، أي

---

(1) — من كتاب المتعة للفكيكي ، ص ٧٥ .

(2) — الكشافه ، ج٣، ص ٢٦ للزمخشري .

لا يمكن تقديم الآيات المكية على الآيات التي وردت بعد الهجـــرة أي في المدينة .

ويذكر توفيق الفكيكي في كتابه المتعة ص ٧٨ :

بزواج الإمام علي عليه السلام بإمرأة من بني نهشل في الكوفـــة متعة .

قول المحقق محمد بن إدريس الحلي :

وهو أحد أعاظم علماء الإمامية ، ومن اساطين القرن الخـــامس ، فقد ذكر في كتابه القيم الموسوم بالسرائر ما ملخصه :[1]

النكاح المؤجل مباح في شريعة الإسلام ، مأذون فيـــه مشـــروع بالكتاب والسنة المتواترة بإجماع المسلمين ، إلا أن بعضهم ادعى نســـخه فيحتاج في دعواه إلى تصحيحها ، وأيضا فقد ثبت بالأدلة الصحيحـــة أن كل منفعة لا ضرار فيها عاجل ولا في آجل مباحة بضرورة العقـــل ، وهذه صفة نكاح المتعة فيجب إباحته بأصل العقل .

*** *** *** ***

[1] – السرائر ، ص ٢١٦ طبع ايران من شاء الاستزاده فليراجعه .

الفصل الثانـــي

مفـاهيم المتـعة عنـد السـنة

إن النكاح المؤقت أو نكاح المتعة عند السنة يتعلق بما يلي :

١ - هل يوجد فرق بين نكاح المتعة والنكاح المؤقت .

٢ - ما هي حقيقة كل منها .

٣ - ما حكم كل منهما .

٤ - أصل مشروعية نكاح المتعة .

١ - هل يوجد فرق بين نكاح المتعة والنكاح المؤقت :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أنه لا فرق بـين الاثنـين ، فالنكاح المؤقت هو نكاح المتعة ، والمشهور عند الحنفية أن نكـاح المتعة يشترط فيه أن يكون بلفظ المتعة كأن يقول لهـا : متعيـني بنفسك .أو أتمتع بك ، أو متعتك بنفسي ، ولكن بعضهم حقـق أن ذلك لم يثبت ، وعلى هذا يكون نكاح المتعة هـو النكـاح المؤقت ، بلا فرق عند الجميع .

٢ - ماهي حقيقة كل منهما : ؟

أما حقيقة نكاح المتعة ، فهو أن يقيد الزواج بوقت معين ، كـأن يقول لها : زوجيني نفسك شهرا . أو تزوجتك مدة سنة . أو نحو ذلك ، سواء كان ذلك صادرا أمام شهـود وبمباشرة ولـي ، أولا .

٣ – ما حكم كل منهما :

سواء كان نكاح المتعة هو عين النكاح المؤقت أو غيره فهو باطل باتفاق ، واذا وقع من أحد استحق عليه التعزير لا الحد وذلك لأنه نقل عن ابن عباس أنه جائز ، وذلك شبهة توجب سقوط الحد ، وان كانت الشبهة واهية .

٤ – ما هي أصل مشروعية نكاح المتعة :

أما أصل مشروعية نكاح المتعة ، فهو أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا في قلة تقضي عليهم ، بمناضلة أعدائهم باستمرار ، وهذه الحالة لا يستطيعون معها القيام بتكاليف الزوجية وتربية الأسرة ، خصوصا أن حالتهم المالية كانت سيئة إلى أقصى مدى ، فليس من المعقول أن يشغلوا أنفسهم بتدبير الأسرة من أول الأمر ، وإلى جانب هذا أنهم كانوا حديثي عهد بعاداتهم التي ربوا عليها قبل الإسلام ، وهي فوضى الشهوات في النساء . حتى كان الواحد منهم يجمع تحته ما شاء من النساء . فيقرب من يحب ويقصي من يشاء فإذا كان هؤلاء في حالة حرب فماذا يكون حالهم ؟؟ ألا أن الطبيعة البشرية لها حكمها ، والحالة المادية لها حكمها كذلك فيجب أن يكون لهذه الحالة تشريع مؤقت يرفع عنهم العنت ، ويحول بينهم وبين تكاليف الزوجية .

الحكمة من نكاح المتعة :

نكاح المتعة ، أو النكاح المؤقت فهو يشبه الحكم العرفي المؤقت بضرورة الحرب وذلك لأن الجيش يحتوي على شباب لا زوجات لهم ولا يستطيعون الزواج الدائم كما لا يستطيعون مقاومة الطبيعة البشرية ،

وليس من المعقول في هذه الحالة مطالبتهم بإضعاف شهواتهم بالصيام ، كما ورد في حديث آخر ، لأن المحارب لا يصلح إضعافه ، بأي وجه ، وعلى أي حال . فهذه الحالة هي الأصل في تشريع نكاح المتعة ، يدل على ذلك ما رواه مسلم عن سبره ، قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح ، حين دخلنا مكة ، ثم لم نخرج حتى نهانا عنها ، فهذا صريح في أنه حكم مؤقت اقتضته ضرورة القتال .

وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يا أيها الناس اني كنت أذنت في الاستمتاع ، ألا وان الله حرمها إلى يوم القيامة)) .

وأما ما روي من أبن عباس ، قال : إنه جائز فالصحيح أنه قال ذلك قبل أن يبلغه نسخه ، فلم بلغه عدل عن رأيه .

وبهذا يتضح أن نكاح المتعة أو النكاح المؤقت باطل ، وما نقل عن إباحته في صدر الإسلام ، فقد كان لضرورة اقتضتها حالة الحرب والقتال .

تفاصيل المذاهب عن نكاح المتعة

١ – المالكية :

قالوا : نكاح المتعة ، هو أن يكون لفظ العقد مؤقتا بوقت ، كأن يقول للولي : زوجني فلانة شهرا بكذا ، أو يقول : قبلت زواجها مدة شهر بكذا فإن قال وقع النكاح باطلا ، ويفسخ قبل الدخول وبعده ، ولكن اذا دخل بها لزمه صداق المثل ، وقيل لايلزمه إلا الصداق المتفق معها عليه . وهو المسمى ، ويلحق به الولد ، ولا يتحقق نكاح المتعة إلا

إذا اشتمل على ذكر الأجل صراحة ، للولي أو للمرأة . أولهما فـإن لم يذكر قبل العقد أو يشترط في العقد لفظا ، ولكن قصده الزوج في نفسـه ، فإنه لا يضر ، ولو فهمت المرأة أو وليهما ذلك .

ويعاقب فاعل نكاح المتعة ، ولكن لا يحد لأن له شبهة القـــول بالجواز ، كما نقل عن ابن عباس ، وان كان نقل عنه أيضا أنه عدل عن القول بالجواز . وقد روى بعض أئمة المالكية أن رجوع ابن عباس عـــن هذا هو المشهور ، ومع ذلك فلا حد فيه لما فيه من شبهة .

وكما يبطل النكاح بالتأقيت ، يبطل بالاتفاق علـــى أن يكـــون ســـرا ، بشرط أن يوصي بكتمة الزوج ، وأن يكون الموصـــى بـــالكتم الشهود .

٢ – الشافعيـــــــــــة :

قالوا : نكاح المتعة ، هو النكاح الأجل ، فلو قـــال للـــولي : زوجني فلانة شهرا ، فإنه يكون نكاح متعة ، وهو باطل ، ومثل ذلـــك ما إذا أقت بمدة عمرها أو عمره ، فلو قال له الولي : زوجتك فلانة مدة عمرها ، بطل العقد ، وذلك لأن مقتضى العقد أن تبقى آثـــاره بعـــد المـــوت ، ولذا يصح للزوج تغسيل زوجته ، ومعنى التأقيت بمدة الحيـــاة تقتضي أن العقد ينتهي بالموت ، فلا تبقى آثاره ، فلذا كان قيد التأقيت مبطلا .

وفي بعض كتب الشافعية أن نكاح المتعة ، عند ابن عباس ، هـــو الخالي عن الولي والشهود ، وعند الجمهور هو النكاح المؤقت بوقـــت ، وتسميته نكاح متعة ظاهرة على تفسير الجمهور ، لأن توقيته بوقت يدل

على أن الغرض منه مجرد التمتع ، لا التوارث والتوالد اللذان هما الغرض الأصلي من النكاح وقد يؤيد ذلك ما روي ، من أن ابن الزبير قال لابن عباس :

أن فعلته رجمتك ، ويظهر أن شبهة ابن عباس كانت ضعيفة في نظر ابن الزبير ، فلا توجب رفع الحد .

٣ – الحنابلة :

قالوا : نكاح المتعة ، هو أن يتزوجها إلى مدة ، سواء كانت المدة معلومة أو مجهولة ، مثال المعلومة ، أن يقول الولي مثلا :زوجتك فلانة شهرا أو سنة . ومثال المجهولة ، أن يقول : زوجتكها إلى انقضاء الموسم أو إلى قدوم الحاج ، ولا فرق أيضا بين أن يكون بلفظ التزويج ، أو بلفظ المتعة ، بأن يقول المتزوج : أمتعيني نفسك ، فتقول : أمتعتك نفسي بدون ولي وشاهدين ، فنكاح المتعة يتناول الأمرين :

١ – ما كان مؤقتا مع الولي والشهود .
٢ – أو كان بلفظ المتعة بدون ولي وشهود وهو باطل على كل حال ، وكان مباحا للضرورة التي ذكرناها في الصلب .
٣ – وإذا لم يذكر الأجل في صيغة العقد ، ولكن نوى في سره أن يمكث معها مدة ، فإنه باطل أيضا .

٤ – الحنفية :

قالوا : نكاح المتعة ، هو أن يقول لامرأة خالية من الموانع : أتمتع بك أو متعيني بنفسك أياما . أو عشرة أيام بكذا ، فتقول له : قبلت ، وكذا إذا وقع لها : متعيني بنفسك ، ولم يذكر مدة إذا المعول على ذكر

لفظ المتعة ، فلو قالت له : متعتك بنفسي بكذا من المال ، وقبل كـــان نكاح متعة ، وقد يقال ، إن إثبات كونه بلفظ المتــعة موقوف علـــى النقل ، ولم يوجد دليل صحيح يفيد أن نكاح المتعة كان بخصوص لفظ المتعة ، ولذا قال بعضهم : إنه لا فرق بينه وبـــين النكـــاح المؤقـــت ، فالنكاح إذا قيد بوقت . أو كان بلفظ المتعة بدون شهود ، كان نكـاح متعة ، كما ذكر الحنابلة ، وهو باطل على كل حال فلو قـــال لهـــا : تزوجتك شهرا . أو سنة ، أو قال : متعيني بنفسك ولم يذكر مـــدة ، فقالت : قبلت ، كان النكاح باطلا ، سواء كان أمام شـــهود ، أو لا ، وسواء كان الوقت طويلا أو قصيرا . على أنه إذا ذكر مدة طويلـــة لا يعيشان إليها عادة كما إذا قال لها : تزوجتك إلى قيام الساعة ، فإنـه في هذه الحالة لم يكن مؤقتا . بل يكون الغرض منه التأبيد . فيلغوا الشـــرط ويصح العقد .

- وإذا نوى معاشرتها مدة ولم يصرح بذلك ، فإن العقد يصح .
- كما إذا تزوجها على أن يطلقها غدا أو بعد شهر ، فإن العقـــد يصح ويلغوا الشرط ، فإن شرط الطلاق ليس تأقيتيا للعقد .
- ولا يترتب على نكاح المتعة أثر . فلا يقع عليـــها طـــلاق ، ولا إيلاء وظهار ولا يحدث أحدهما من صاحبه . ولاشـــيء لهـــا إذا فارقها قبل الدخول . أما بعده فلها من المهر ما تقدم في شـــرائط النكاح من مهر المثل .(*)

(*) – راجع كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ج٤ قسم الأحوال الشخصية ص ٩٠ – ٩٣ للجزيري .

الفصـــل الثالث

الزواج في مفاهيم الحضارة الغربيـــة

١ - **يقول لاندز** :(الزواج نظام عالمي يكفل وجود علاقة دائمة بـــين رجل وامرأة لتربية اطفالهما الذين لا حول لهم ولا قوة ، كما أنـــه يضمن انتقال الثروة لهم واكسابهم مكانة معينة) [1]

٢ - **ذهب أرسطو**: إلى أن الأسرة هي أول اجتماع تدعو إليه الطبيعـة ، إذ من الضروري أن يجتمع كائنات لاغنى لأحدهما عن الاخــر ، أي اجتماع الجنسين للتناسل ، وليس هذا شيء من التحكم ، ففي الإنسان كما في الحيوانات الأخرى والنباتات نزعة طبيعية ، وهـي أن يخلف بعده موجودا على صورته .[2]

٣ - **ويرى بومان** : أن الناس يتزوجون لعديد من الأسباب مجتمعـــة أو لسبب واحد أو أكثر ، ويمكن أن نجمل تلك الأسباب فيما يلي : الحب ، الأمان الاقتصادي ، الرغبة في حياة المنـــزل والأولاد ، الأمان العاطفي ، تحقيق رغبة الوالدين ، الهـــرب مـــن الوحـــدة ، المشاركة ، الهرب من أوضاع غير مرغوب فيها فـــي منـــزل الأسرة ، إغراء الـــمال ،وجود الصحبة والصداقة ، الحماية ، تحقيـق مركز اجتماعي معين ، المغامرة والتجربة . فالزواج في ذاتـــه نظـام اجتماعي ينبع من العرف أكثر مما ينتمي إلى البيولوجيا ، والـــزواج

---

[1] - landez write – modern marriage p.p 123-135

[2] - دراسات في الاجتماع العائلي ، مصطفى الخشاب ص ١٣ .

عند الحيوان بيولوجي الأصل ، لكن الزواج عند الإنسان بما فيه من تكوين الأسرة ومن تكوين عدة من الأنظمة التي تتركز حولها هي من صنع الإنسان ، وهذا النظم قد تختلف بعضها عن بعض الآخر ، من قبيلة إلى قبيلة ، ومن شعب إلى شعب في الدوام وفي الخصائص وفي الدوافع وفي الالزامات .[1]

٤ – ويرى كل من ليفي ومونرو – أن دافع الإنسان إلى الزواج يبدأ في طفولته ، وفي المنزل الذي نشأ فيه ، وهما يقولان :

ان الزواج يبدأ في الطفولة ، ويعينان بذلك أن الناس يتعلمون في طفولتهم الحب والكراهية والتنافس والتعاطف في منزل الآباء ، وأنهم ينقلون هذه المشاعر معهم إلى بيوتهم .

٥ – ويرى بونبو أن كثيرا من الناس يتزوج بسبب ما يصطلح على تسميته بمركب الجنس الأولي ، وهذا المركب يتكون في رأيه من خمسة عناصر هي :[2]

١ – الحافز البيولوجي على الزواج .

٢ – الأمان الاقتصادي وتقسيم العمل .

٣ – الصداقة المشوبة بالجنس .

٤ – الصداقة غير المشوبة بالجنس .

٥ – الاهتمام المنزلي والأطفال .

---

(١) – Henry –A.Bowman – marriage for moderm p.p 28-30 .

(٢) – Paul – Popemoe –moderm marriage p.p .137-144.

الفصل الرابع

الرؤية المستقبلية للمتعة وأثرها الاجتماعي

الإسلام اليوم بحاجة إلى تجديد ، ومن واجب المجـــدد إذا تجنـــب الهوى أن يدرس الموضوع دراسة متعمقة ، وموضوعنا اليوم هو المتعـــة في الإسلام ، ونريد عرض هذا الموضوع عرضا محايدا ، لا تميز فيه ولا تهيب ، ولا سطحية فيه ولا ابتسار والحق كل الحق إن الإسلام اليوم في محنـــة ، فهو موضوع التجربة اليوم أكثر من أي وقت مضى ، اليوم حيث تقـــدم العلم ، وتقدم الإنسان ، وتعلم هذا الإنسان كثيرا مما لم يكن يعلم ، تعلـــم الزراعة ، والصناعة ، وتعلم السيارة ، والطيارة ، وتعلم الطب ، والهندســـة والتجارة ، وتعلم الفلك ، وتعلم الجدل ، والشـــعر ، والأدب ، وتعلـــم الإحصاء بالقلم ، كما تعلم حسب السنين والأيام ، بـــل تعلـــم كيـــف يتدخل في الطبيعة فيفجر الذرة ، وكان هذا من مكامن الخطر .

ولقد تابعت كثيرا من كتب الشيعة ، وتابعت مختلف الآراء الـــتي قيل بأنها تختلف عما يتجه إليه أهل السنة ، فوجدته خلافا على شـكليات لا أصل لها من جوهر الأمور ، فالخلاف حول تفضيل ((علي)) كـرم الله وجهه خلاف لا يمس صميم الدين ولا يهدم ركنا من أركانه ، فضلا عـــن عدم جدوى إثارة مثل هذا الموضوع في هذا الموضع . وقد قبـــض النـــبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه كما قبض خلفاؤه الأربعة وغيرهم من جلـــة الصحابة والتابعين ، ولن يفيد الخلاف والاختلاف في إعادة واحد منـــهم أو غيره إلى الحكم ، ولو افترضنا أن إماما سيظهر في قابل الأيام فالعـــالم

كله في انتظاره لأنه سيكون مؤيدا بروح الله ولعل من أخطر وجوه الخلاف ذلك الذي دار حول ((المتعة)) تلك يحلها فقهاء الشيعة ، في الوقت الذي يحرمها فقهاء السنة .

لفت نظر :

- لقد بلغ عدد المصابين بالزهري من بيوت الدعارة مئات الألوف .
- إن ما يحدث في المدارس الداخلية بنين وبنات لا يخفى على الناس
- ما يحدث في داخل البيوت بين الأقارب والأصحاب لا يخفى على الناس .
- علاقة الذكر بالإنثى بالطريقة التي لا يستسيغها العقل ولا يسيغها الدين ، ولا تسيغها الأخلاق .
- ما تعرضه الجرائد والمجلات من مآسي تتكرر صورها وتتكرر وقائعها لا يحتاج إلى بيان .
- بل إن ما يحدث في أعماق الريف يفوق كل ذلك النوع وفي المقدار ..
- حقن طبية لمنع الحمل قد تكون آثارها الصحية مدمرة بالنسبة للمرأة وللفتاة على حد سواء .

كل هذا يحدث في المدن والأرياف ، حيث الحداثة متوفرة وحيث الشوارع تضج بالناس . كل هذا وغيره لا ينهي الموقف ، ولا يحل المشكلات .

ونزل القرآن الكريم لإصلاح المجتمع وحمايته ، ورعاية الأسرة والدفاع عنها ، نزل ليضمن سعادة الإنسان ، ونزل مناسبا لجميع الناس

على اختلاف ظروفهم وأحوالهم ، وقد أوجب الزواج عند خشية الزنى ، ولكن ثم ولكن الزواج يحتاج ثم يحتاج إلى المهر وإلى الاستعداد ، وفي الإنسان طاقات تتنفس ، ولا بد أن تكيف علاقات الذكر بالأنثى تكيفا سليما لا تتحطم معه خلقية الإنسان ، ولاتنهار معه الأسرة حين يرتبط الرجل بعلاقات ، وترتبط الأنثى بعلاقات ، والحل ليس هو الزنى أو اللواط أو السحاق وبأية حال من الأحوال هذه الأمراض نشأت لأننا لم نفهم ما في القرآن من مثالية عالية نتلمبسها في ((التصوف)) ومافيه من واقعية معتدلة صافية نتلمسها في قوله تعالى :

((خلق لكم من أنفسيكم أزواجا لتسكنوا إليها))

وما فيه من واقعية أكثر في مرونتها من ذلك ، أو قل أقرب إلى طبيعة الإنسان بما فيه من هذه الغريزة المقيمة حين يجيز له الزواج من اثنتين وثلاث وباع ، بل إنه يفتح للمسلم بابا آخر هو هذا الترخيص الوارد في قوله تعالى :

((و المحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم)) ثم يقول جل من قائل عقب هذا النص من الآية مباشرة :

((وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، إن الله كان عليما حكيما)) .

وبهذه الآية (وأحل لكم ما وراء ذلكم ...)) تمسك فقهاء الشيعة من المذاهب الإسلامية الكبيرة . وقد يقال بأن فتح الباب لزواج المتعة سيغلق باب الزواج الدائم ، وسيدفع الشباب إلى زواج المتعة دون الزواج الدائم ،

ولكنها حجة واهية لا تحتاج إلى نقاش ، ذلك أنه بالرغم من إباحة المتعة في بعض الأقطار الإسلامية ، فلا يزال الزواج الدائم هو الساري في غالب الأحيان .

* إن زواج المتعة يقضي على الدعارة الرسمية ، وغير الرسمية ، ويقضي على الزاني الذي ينطلق كالحيوان إلى هذه وتلك .. والزانية التي تسلم نفسها لهذا وذاك دون عقد ودون شهادة من الشهود ودون اعتبار (للعدة)التي تستغرق في المتعة المباحة عند الشيعة حيضتين كاملتين وخمسا وأربعين يوما كاملا ، حتى إذا كان ثمة ((حمل)) انكشف في خلال هذه المدة فألحق بأبيه وصار مسؤولا عنه مما قد يدفع إلى استدامة العلاقة الزوجية بالفعل . أما الإسلام فقد وجد ليحارب كل هذا ، لا ليحاربه بالسيف ، فالسيف اضعف أن يحل المشكلات .

السيف حين يحارب السرقة ينسى أن الرشوة أشد نكاية في هدم الشعوب من السرقة .

والسيف حين يسلط حده على الظهور يتهرب الناس - جموع الناس بظهورهم إلى الرذيلة والفساد على بطونهم .

وأساس الإسلام هو العقيدة قبل السيف .

وأخيرا :

نقول بأن هذا الدين متين ، وعلى الدارسين أن يوغلوا فيه برفق ، وعليهم دراسة المشكلات دراسة متحررة من كل جمود ، محررة من كل الشوائب ، وعرضها من كافة وجوهها بحيث لا يوجد بين المسلمين خلاف يفضي إلى ضرر أو ضرار .

الباب الخامس

الاستشراق وعداؤه للإسلام



الفصـــل الأول

من هم المستشرقون :

المستشرقون قوم من أوربا نسبوا أنفسهم إلى العلـــم والبحـــث ، وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والديـــن والاجتمـــاع ، ولكل منهم لغته الأصلية التي رضع لبالها من أمه وأبيه ، ومجتمعه ، وبيئته، فصارت له ((اللغة الأم)) كما يعبرون فهو يغـــار عليـــها ويتـــأثر بهـــا ويستجيب لموحياهما ، ولكن المستشرقين تعلموا اللغة العربية بجوار لغـــاقم الأصلية ، مع أن كثير منهم قضوا شطرا كبيرا في تعلم العربية وفي القـــراءة بها ، وعاشوا في أوساط عربية ردحا من الزمن ، نلاحظ أن نطقهم بالعربية لم يخل من لكنة ورطانة ، وكذلك حين يكتبون بها فما تكـــاد تســـمع مستشرق أو تقرأ له حتى تحس من نبرات صوته أو طريقة كتابته أنه دخيـل في العربية طارئ عليها ، وأن العربية عنده لغة ثانيـــة لاتســـري أصولهـــا وروحها في عقله أو وجدانه أو شعوره كما تجري لغته الأصليـــة (اللغـــة الأم).

ومن هنا كان طبيعيا أن نجد هؤلاء المستشرقين لايجيـــدون فـــهم النصوص العربية فقد يفوقم عند مطالعتها الكثير من مجازاهما واســـتعاراهما وخصائصها الاسلوبية والمعنوية .

نشـــأة المستشرقيـــن :

الاستشراق لم ينشأ اعتباطاً ولامصادفة بل أغلب الظن أنـــه نشـــأ حسب خطة موضوعة ، فإن الغرب قد انتهز الفرصة حينما رأى الشـــرق غارقاً في خلافاته وفتنه واضطراباته ، فأقبل عليه بخيله ورجله يحتل ديـاره ،

ويستعبد أهله ويستثمر خيراته وطاقاته ، ويستبد بثمراته وبركاته ، ويشوه معالم عقائده ومبادئه ، وخصائص أهله ، وكان المسير لهذا الاحتلال والاستبداد هو الأحقاد الدينية ، والثارات الصليبية ، والضغائن الغربية العميقة الجذور ضد الإسلام والعرب خاصة .

أمكنتهم :

تراهم يولعون بتناول مواطن خاصة ، ينالون فيها من الاسلام ، ويعرضون به ، كما يولعون بتتبع الأساطير والقصص التي لا تثبت صحتها، ليبنوا منها أحكاماً وأوهام وخيالات وإسراف في إصدار النتائج والأحكام.

ويولعون بتصوير الإسلام في صورة الدين الجامد الذي لايصلح للتطور أو التجديد، ومن كيدهم في هذا الباب أنهم يحكمون دائماً على الإسلام من واقع المسلمين فهم لا يصورون الإسلام من منابعه ومصادره ، بل يصورونه من واقع المسلمين السيء ، وهم بطبيعة الحال يختارون البيئات الإسلامية التي نالها الضعف ، أو الهزال لهذا السبب أو ذاك ، ويجعلون هذه البيئات الضعيفة نموذجاً للإسلام ....الخ .[1]

دراسة المستشرقين :

لقد قام المستشرقون بدراسات واسعة حول الإسلام ، فنشروا كتباً كثيرة ، وتوسعوا في الدراسات الى حد بعيد ، وبذلوا جهوداً ، ولكن أكثرهم إن لم يكن كلهم لم يسلم من التحامل على الإسلام ، والعداء لأهله ، وإن تحقق ذلك في شخص تخلف عن كثيرين . ودراساتهم لم تكن

---

[1] انظر التصوف عند المستشرقين ، ص ٦ — ١٠ ، العدد ٢٧ مجلة الثقافة الاسلامية .

خالية من التحامل والطعن ، بل تكون في غالب الأحيان عند أكثرهم منصبة على الاسلام بالدس والتقول ونثبت ذلك فيما بعد .

واختلقوا الأباطيل ، وداساهم للإسلام لم تكن للعلم من حيث العلم ، بل كانت أولاً بوحي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة ، للانتقاص من تعاليم الإسلام وإهدار قيم تعاليمه ، حرصاً على مذهب (الكثلكه) من جانب وتعويضاً عن الهزائم الصليبية في (تحرير بيت المقدس) من جانب آخر .

ثم تبنى الاستعمار الغربي هذه الدراسة في الجامعات العربية نفسها حتى يقوي القائمون بأمرها على تصديرها إلى الشرق الإسلامي .[1]

والاستشراق أول ماظهر بين الرهبان عندما قامت روما تحاول تنصير العرب ، فأعدت لهم الوعاظ الذين علمتهم العربية ، وأنشأت مدرسة للدعاية سنة ١٦٢٧ سبقتها مدرسة لليسوعيين وغيرهم ، وهذه المدرسة أسسها البابا الثامن ، وجعلها مركزا لدراسات اللغات السامية ، ثم أنشأ الكردينال (يورميو) مكتبة (امبروزيانا) تحت إشراف الدكتور جيجو .

وانشأ الأب ما توريبا المعهد العالي للغات الشرقية في نابلس سنة ١٧٣٢ . ثم انشيء المعهد البابوي للغات الشرقية ، وألحقت به مكتبة غنية بالمخطوطات العربية ، وتبعه مؤسسة كايتاني والمعهد الشرقي المنشأ في روما سنة ١٩٢١ ويتولى نشر مجلة الحديث .

---

[1] انظر الفكر الاسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ، ص ٥ .

*- الرهبان :

فلا عزو إن كان ظهور الاستشراق أول ما ظهر بين الرهبان ولقد قام بعضهم بأعمال [1] خطيرة هي أكثر مما تقوم بها الجيوش . فهذا الكاردينال (لافيجري) كما يحدث هو عن نفسه في الجزائر وتونس في رسالة له :

أنه قام بأكثر مما يقوم به جيش بأكمله . ولم يكن عمله ذلك لخدمة الديانة المسيحية بل كان لخدمة الاستعمار ، ومحاولة محو الإسلام من نفوس الجزائريين لأنه هو المؤجج لروح المقاومة فيهم .[2]

خلاف الطوائف الإسلامية :

- لقد شوه المستشرقون كثيرا من الحقائق وأدخلوا في التاريخ الإسلامي ما ليس منه ، وكانت لهم اليد الطولى في توسعة شقة الخلاف بين طوائف المسلمين بما ينشرونه من دفائن ، ويبرزونه من أقوال شاذة ، وآراء مقبورة بأسلوب ماكر خداع ، كما أنهم قاموا بنشاط واسع في خدمة الاستعمار .
- وقد وصفهم الدكتور مصطفى السباعي بأنهم : عملاء الاستعمار ، وهم أداة هدم الإسلام ، وتشويها لسمعة المسلمين .
- ولابد هنا بأن نترك الموضوع للأدباء والكتاب ليتحدثوا عن المستشرقين وما قاموا به من نشاط في محاربة الإسلام ، وما نجم من وراء ذلك وكيف انخدع بهم كثير من الكتاب ، وكيف أصبحت

---

[1] – انظر أضواء على التاريخ الإسلامي ، ص ١٥٣ .

[2] –انظر مجلة البينة – السنة الأولى ، العدد ٦ ، ص ٣٠ .

كتبهم مصدرا يستمد منه كتابنا معلوماتهم عما يتعلق بتاريخ الإسـلام وما يتعلق به من بحوث ، فلنصغ لحديث الأدباء والكتـاب ممـن تحضرنا كتبهم الآن .

*** **** *** ****



الفصل الثاني

حديث عن المستشرقين

● - يقول الأستاذ السباعي :

اتضحت لي عن المستشرقين الحقائق التالية :

أولا: أن المستشرقين في جمهورهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيسا أو يهوديا وقد يشذ عن ذلك أفراد .

ثانيا : أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية كالدول الاسكندنافية أضعف منه عند الدول الاستعمارية .

ثالثا : أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن (جولد لسهير) وآرائه بعد أن انكشفت أهداف.

رابعا : أن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنبا إلى جنب يلقى منهما كل تأييد .

خامسا :أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية ، من كونه أداة هدم للإسلام ، وتشويها لسمعة المسلمين .

ففي فرنسا لا يزال ((بلاشير)) و ((ماسينيون)) وهما شيخا المستشرقين في وقتنا يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين .

وفي إنجلترا رأينا كما ذكرت أن الاستشراق له مكـــان محـــترم في جامعات لندن ، وأكسفورد وكمبردج ، وأدنبره ، وجلاسجو وغيرهـــا ، ويشرف عليها يهود وانجليز استعماريون ومبشرون وهم يحرصون علـــى أن تظل مؤلفات جولدسهير ، ومر جليوت ، ثم شاخت مـــن بعدهمـــا هـــي المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق من الغربيين وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب والمسلمين ، وهم لايوافقون أبدا على رســـالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها إنصاف الإسلام ، وكشف دســـائس أولئك المستشرقين إلى أن يقول :

ومن المؤلم أن طلاب العالم الإسلامي الذيـــن يدرســـون باللغـــة الإنجليزية في بلادهم لا يزالون مضطرين إلى دخول الجامعات الإنجليزيـــة ، فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية أمامهم مراجع لدراساتهم التي ينـــالون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة وهم لا يعرفون اللغة العربيـــة ، فتقرر عندهم أن تلك الدسائس مأخوذة من كتب الفقـــهاء والعلمـــاء المسلمين أنفسهم . [1]

- هذا بعض ما ذكره الدكتور مصطفـــى الســـباعي عـــن حقيقـــة المستشرقين وقد ذكر أشياء كثيرة ينقم فيها عليهم السوء ما ارتكبوه في حق المسلمـــين من تحامل وعداء ، وتشويه للحقـــائق ، وتحريـــف

---

(١) – انظر كتاب السنة ٢٦-٢٨ .

جولد تسهير : هو من أسرة يهودية ولد سنة ١٨٥٠ في بلاد المجر وتوفي سنة ١٩٢١ وسافر إلى الشرق سنة ١٨٧٣ ودخل القاهرة فأقام بها مدة وله مؤلفات منها : الجدل عند الشيعة ، والعقيدة والشرعية في الإسلام ومذاهب التفسير الإسلامي وغيرها وناهيك ما حوته هذه الكتب وغيرها من الدس والتضليل والقول الباطل .

للنصوص ، وتأويل للوقائع التاريخية وفق مخطط مرسوم وهدف معين وهو العداء للإسلام .

** - ويقول الأستاذ مالك بن نبي :

وإنه لما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية ، وأحيانا دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوربيين .

إن الدراسات الإسلامية التي تظهر في أوروبا بأقلام كبار المستشرقين واقع لا جدال فيه ، ولكن هل يمكن أن نتصور المكانة التي يحتلها هذا الواقع في الحركة الفكرية الحديثة في البلاد الإسلامية ؟

إن الأعمال الأدبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الإشعاع لا نكاد نتصورها ،.وحسبنا دليلا على ذلك أن يضم مجمع اللغة العربية في مصر بين أعضائه عالما فرنسيا ، وربما أمكننا أن ندرك ذلك إذا لاحظنا عدد رسالات الدكتوراه ، وطبعة هذه الرسالات التي يقدمها الطلبة المصريون وغيرهم كل عام إلى جامعة باريس وحدها . وفي هذه الرسالات كلها يصر أساتذة الثقافة العربية في الغد أولئك الذين سيكونون باعثي النهضة الإسلامية يصرون كما أوجبوا على أنفسهم على ترديد الأفكار التي زكاها أساتذتهم الغربيون .

وعن هذا الطريق أوغل الاستشراق في الحياة العقلية للبلاد الإسلامية محددا لها اتجاهها التاريخي إلى درجة كبيرة . وأيا ما كان الأمر فإن الشباب المسلم المثقف في بعض ديار الإسلام يرى نفسه مضطرا إلى أن يلجأ إلى مصادر المؤلفين الأجانب خضوعا لمقتضيات عقلية جديدة ،

ولعله يقدم إلى حد كبير منهجها الوصفي الديكارتي وهناك أيضا قضاة وشيوخ ومعممون مدرسون يتذوقون فيها رشاقتها الهندسية .

هذا كله لا غبار عليه لو لم يضم الاستشراق بمناهجه سوى الموضوع العلمي ولكن الهوى السياسي الديني قد كشف عن نفسه بكل أسف في تأليف هؤلاء المتخصصين الأوربيين في الدراسات الإسلامية برغم أنها تدعو إلى الإعجاب حقا .[1]

فلم يكن الأب لامانس الذي ظل نموذجا للمستشرقين الطاعن على الإسلام ورجاله الحالة الوحيدة التي يمكن أن تلحظ فيها العمل الصامت لتقويض دعائم الإسلام فقد كان لهذا الرجل (الشاطر) فضل في الكشف عن بغضه الشديد للقرآن ولمحمد صلى الله عليه وسلم .

**** – ويوضح لنا الأمير شكيب إرسلان :**

جانبا مهما من دسائسهم ويحذر المسلمين عن الانخداع بما يكتبون فيقول : (إنه مما يجدر بأن يطلع عليه الشرقيون والمسلمون خاصة ، ما يصدر في أوروبا من الكتابات المتعلقة بهم ، والتصانيف الباحثة عن مصيرهم ، والمقالات المصورة لأحوالهم وشؤونهم بلون مخيلات الكتاب الذين حرروها ، الناطقة عن هوى الأحزاب التي ينتمي هؤلاء الكتاب إليها ، بحيث يعرف منها الشرقي أو المسلم أو المستضعف على أمره كائنا من كان ماذا يطبخ له في الخفاء وماذا يدس بحقه تحت الستار ، وماذا يدبر

---

[1] – انظر حاضر العالم الإسلامي ، ج١، ص ١٠٠ .

عليه بدون علمه ، مما لا يطلع عليه إلا في الندر ، ومما هو رام إلى إدامة استغلاله).[1]

وفي موضع آخر يوضح لنا الأمير صورة عن دراستهم وأنهم : إذا عثروا على حكاية شاذة ، أو نكتة فاردة في زاوية كتاب قد يكون محرفا سقطوا عليها تهافت الذباب على الحلوى ، ويغفلون أو يتغافلون عن الأحوال الخاصة ، والأسباب المستثناة ، ويرجع كل هذا التهور إلى قلبة الاطلاع في الأصل ، هذا إذا لم يشب ذلك سوء قصد ، لأن الغربي لا يبرح عدوا للشرقي – ورقيبا له والنادر لايعتد به .[2]

**** ويقول الأستاذ أحمد شاكر – حول نظرة المستشرقين للقرآن :**

منهم (المستشرقون) يرون أن علماء الإسلام ، وقراء القرآن كاذبون مفترون اخترعوا هذه الروايات ، وهذه القراءات توجيها لما يتحمله رسم المصحف تشكيكا منهم في هذا الكتاب المحفوظ بحفظ الله وتكذيبا للوعد بحفظه ، وبأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وثأرا من المسلمين باتهامهم بالتحريف كما اتهم الذين من قبلهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه إلى أن يقول :

ذلك بأنهم أصحاب هوى ، ذلك بأنهم لا يؤمنون بصدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأنهم يؤمنون بأن أصحاب رسول الله

---

(1) – انظر حاضر العالم الإسلامي ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

(٢) – المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

هنري لامنس اليسوعي ١٨٦٢-١٩٣٧ بلجيكي المولد فرنسي الجنسية من أوائل الحامعة اليسوعية ببيروت تنقل شرقا وغربا مابين سنة ١٨٩١ – ١٨٩٧ درس اللاهوت في إنجلترا وتولى ادارة التبشير في بيروت له مؤلفات كثيرة : الحكام الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ومنها كتاب فاطمة بنت محمد (ص) والسيرة ، وموقف الاسلام من الفنون المصورة ، ومهد الإسلام .

وتابعيهم من بعدهم لا أخلاق لهم ، يصدرون عن هوى وعصبية فيظنـــون فيهم مافي غيرهم من الكذب على الدين ، والجرأة على الله وحاشا الله .
وذلك بأنهم – أي المستشرقين – يتبعون الشاذ من الروايات الذي أخطـأ فيها بعض رواتها أو الذي كذب فيها بعض الوضاعين ، وهمـــا اللـــذان بينهما علماء الإسلام وخاصة علماء الحديث أدق بيان وأوثقه وأوضحـــه ، فيجعلون هذا الشاذ المنكر أصلا ينون قواعدهم التي افتعلوها ونســـبوها للإسلام وعلماء الإسلام ، ويدعون الجادة الواضحة وضـــوح الشـــمس ، ويغمضون عنها أعينهم ويجعلون أصابعهم في آذانهم ، ثم يستهوون منا مـــن ضعفت مداركهم ، وضؤل علمهم بقديمهم من المعجبين بهم ، ولمعظميـــهم الذين نشأو في حجورهم ورضعوا من لبانهم ، فأخذوا عنهم العلوم حـــتى علوم الفقه ، والقرآن ، فكانوا قوما لا يفقهون .[1]

**** ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثري حول نظرة المستشرقين للقـــرآن أيضا :**

ونرى في المدة الأخيرة اهتماما خاصا لمستشرقي الغـــرب بنشـــر مؤلفات علماء الإسلام الأقدمين مما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومـــه ، مـــن كتب القراءات وكتب الطبقات ، بل يواصلون سعيهم في ذلـــك ، وفي نشر ما للأقدمين من المؤلفات في الحديث والفقه واللغة ، إلى غير ذلك مـــن المشرقيات ، ومسعى أغلبيتهم قصدهم لاحياء عهد الصليبين بطريقة أخرى في الحملات الممتلئة تعصبا وجهلا نحو النور الوضاء الذي أشرق مـــن

---

(1) – الشرع واللغة للأستاذ احمد شاكر ، ص : ٢٦ – ٢٨ .

القرآن على هذه الكرة المظلمة حتى استنار بذلك النور الوهاج ، فدخل الناس في دين الله أفواجا فتبدلت الأرض .

وغاية هذا الفريق مكشوفة جدا مهما تظاهر بمظهر البحث العلمي البريء كذبا وزورا وخداعا .[1]

**** ويقول الأستاذ عبد الباقي سرور في حديثه عن المستشرقين وبالأخص المستشرق اليهودي جولد تسهير** : ومن الأفق الغربي تأتي حملة أخرى على الروحانية الإسلامية ، حملة أشد خبثا وأدهى أسلوبا ، حملة سحرت أعين الناس ، وجاءت بما يستهوي الأفئدة لأنها تتقنع بالعلم وتتستر بالمعرفة وتتوارى وراء كلمات براقة خداعة هي حرية البحث أو قداسة العلم !!

فرأينا يهوديا هو جولد تسهير يكتب عن العقيدة والشريعة في الإسلام ، ويفسر القرآن كما يهوى ، ويجرح صحابة الرسول كما يحب ويخطئهم في فهمهم لدينهم ، ثم يبتدع هو ما يشاء تفسيرا لروح القرآن وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونهج العقيدة في الإسلام .

إلى أن يقول : ويأتي في أعقاب هذا اليهودي اخوان له خدع بهم الشرق ، بل خدعت بهم طائفة غير قليلة من رجال القلم والفكر عندنا فظنوهم سدنة العلم الإسلامي وحملة مفاتيح كنوزه .[2]

*** ويصف الأستاذ قدري حافظ طوقان تحامل المستشرقين على العرب خاصة بقولة :**

---

[1] — مقالات الكوثري ، ص ١٧ .

[2] — انظر رابعة العدوية ص ٢٤ .

ونظرة سر بسيطة إلى ما ألفه الغربيون في التراث اليوناني ، ولدى الإطلاع على آرائهم في نتاج القريحة يظهر التحامل جليـــا واضحـــا ، ويثبـــت الإجحاف ، وإن بعض علماء الغرب عمدوا إلى الانتقـــاص مـــن قـــدر الحضارة العربية ، وقد قصدوا تشويه صفحات لامعات في تاريخ العـــرب لمآرب غير خافية على أحد .[1]

** **ويقول الأستاذ إبراهيم هاشم :**

تبين لنا خلال سطورهم في كل ما يكتبون عن الإســـلام ونـــبي الإسلام ، تلك هي : روح العداء المستحكم للدين الإسلامي ومعتنقيـــه ، وهذه الروح العدائية للإسلام والمسلمين من بقايا العداء الصليبي .[2]

*** **** *** ****

---

(1) – الخالدون العرب ، ص ٣ .

(2) – انظر كتاب أين نحن اليوم ، ص ٣٦ .

الفصـــل الثالـــث

قصـــة الغرانيق عنـــد المستشرقيـــن

* عودة مهاجري الحبشة .
* الغرانيق العلا .
* تمسك المستشرقين بقصتها.
* أسانيدهم في ذلك .
* ضعف هذه الأسانيد .
* القصة ظاهرة الكذب ينفيها التمحيص العلمي .

مقدمـــــة :

الاستعمار والدعوة ضد الإسلام ، وقد عاون الاستعمار الغربي أهله على الاستمرار في الحملة التي أثاروها على الإسلام وعلى محمد ، ودعاهم ليقولوا ما قال أهل مكة حين أرادوا أن يحملوا النصرانية عار هزيمة هرقـل والروم أمام فارس . فقد قالوا ولا يزال الكثيرون منهم يقولون إن الإسلام هو السبب في انحطاط الشعوب الآخذة به وفي خضوعهم لغيرهم . وهذه فرية يكفي لإدحاضها أن يذكر قائلها أن الشعوب الإسلامية ظلت صاحبة الحضارة الغالبة وصاحبة السيادة على العالم المعروف كله قرونا متواليـــة ، وأنها كانت محط رجال العلم والعلماء ، وموئل الحرية التي لـــم يعرفـــها الغرب إلا من أمد قريب . فإذا أمكن أن ينسب انحطـــاط طائفـــة مـــن الشعوب إلى الدين الذي تؤمن به فلا يكون هنا الدين الإسلام ، وهـــو الذي حفز بدو شبه جزيرة العرب وأثارهم ومكن لهم من حكم العالم .

١- عود مهاجري الحبشة :

أقام المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة ثلاث أشهر أسلم أثناءها عمر بن الخطاب . وعلم هؤلاء المهاجرين ما حدث على أثر إسلامه من رجوع قريش عن إيذائها محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه ، فعاد كثير منهم في رواية ، وعادوا كلهم في رواية أخرى إلى مكة . فلما بلغوها رأوا قريشا عادت إلى إيذاء المسلمين وإلى الإمعان في عداوتهم أشد مما عرف هؤلاء المهاجرين من قبل ، فعاد إلى الحبشة من عاد ، ودخل مكة من دخل مستخفيا أو بجوار .

ويقال : إن الذين عادوا استصحبوا معهم عددا آخر من المسلمين أقاموا بالحبشة إلى ما بعد الهجرة وإلى حين استتباب الأمر للمسلمين بالمدينة .

٢- الغرانيق العلا :

أي داع حفز مسلمي الحبشة إلى العودة بعد ثلاثة أشهر من مقامهم بها ؟ هنا يرد حديث الغرانيق الذي أورده ابن سعد في طبقاته الكبرى والطبري في تاريخ الرسل والملوك ، كما أورده كثيرون من المفسرين المسلمين وكتاب السيرة .

والذي أخذ به جماعة المستشرقين ووقفوا يؤيدونه طويلا . وحديث الغرانيق :

أن محمدا لما رأى تجنب قريش إياه وأذاهم أصحابه تمنى قال : ليته لا ينزل علي شيء ينفرهم مني ، وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه

فجلس يوما في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى)[1] فقرأ بعد ذلك ·

((تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى)) . ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد في آخرها . وهنالك سجد القوم جميعا لم يتخلف منهم أحد . وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده . أما إذ جعلت لها نصيبا فنحن معك . وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم. وفشا أمر ذلك في الناس حتى بلغ الحبشة ، فقال المسلمون بها : عشائرنا أحب إلينا ، وخرجوا راجعين . فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا راكبا من كنانة فسألوهم ، فقالوا : ذكر آلهتهم بخير فتابعة الملأ ، ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم فعادوا له بالشر . وأتمر المسلمون ما يصنعون فلم يطيقوا عن لقاء أهلهم صبرا فدخلوا مكة .

وإنما ارتد محمد صلى الله عليه وسلم عن ذكر آلهة قريش بالخير ، في مختلف الروايات التي أثبتت هذا الخبر ، لأنه كبر عليه قول قريش : ((أما إذ جعلت لآلهتنا نصيبا فنحن معك)) ، ولأنه جلس في بيته ، حتى إذا أمسى أتاه جبريل فعرض النبي عليه سورة النجم ، فقال جبريل أو جئتك بهاتين الكلمتين ؟! .

مشيرا إلى ((تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى)). قال محمد صلى الله عليه وسلم :

---

[1] — آيتا ١٩ و ٢٠ . من سورة النجم.

قلت على الله ما لم يقل ! ثم أوحى إليه : ((وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا))[1] وبذلك عاد يذكر آلهة قريش بالشر ويسبهم ، وعادت قريش لمناوأته وإيذاء أصحابه .

تهافت المستشرقين على حديث الغرانيق :

إن حديث الغرانيق ، رواه غير واحد من كتاب السيرة ، وأشار إليه غير واحد من المفسرين ، ووقف عنده كثيرون من المستشرقين طويلا . وهو حديث ظاهر التهافت ينقضه قليل من التمحيص . وهو بعد حديث ينقض ما لكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه . فمن عجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين : ولذلك لم يتردد ابن اسحاق حين سئل عنه في أن قال : إنه من وضع الزنادقة .

تمسك المستشرقين بقصتها وأسانيدهم في ذلك :

ولكن بعض الذين أخذوا به حاولوا تسويغه فاستندوا إلى الآيات : (وإن كادوا ليفتنونك) ، وإلى قوله تعالى : ((وماأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد))[2]

---

[1] - سورة الإسراء ، الآيات من ٧٣ إلى ٧٥ .

[2] - سورة الحج ايتا ٥٢ و ٥٣ .

ويفسر بعضهم كلمة ((تمنى)) في الآية بمعنى قرأ ، ويفسرها آخرون بمعنى الأمنية المعروفة . ويذهب هؤلاء وأولئك ، ويتابعهم المستشرقون إلى أن النبي بلغ منه أذى المشركين أصحابه ، إذ كانوا يقتلون بعضهم ويلقون بعضاً في الصحراء يلفحهم لظى الشمس المحرقة ، وقد أوقروهم بالحجلوة كما فعلوا ببلال ، حتى اضطر إلى الإذن لهم في الهجرة إلى الحبشة . كما بلغ منه جفاء قومه إياه وإعراضهم عنه . ولما كان حريصا على إسلامهم ونجاتهم من عبادة الأصنام ، تقرب إليهم وتلا سورة النجم وأضاف إليها حكاية الغرانيق ، فلما سجد سجدوا معه ، وأظهروا له الميل لاتباعه ما دام قد جعل لآلهتهم نصيبا مع الله .

- ويضيف سير وليم موير إلى هذه الرواية ، التي وردت في بعض كتب السيرة وكتب التفسير ، حجة يراها قاطعة بصحة حديث الغرانيق . ذلك أن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة لم يك قد مضى على هجرتهم إليها غير ثلاث أشهر ، أجارهم النجاشي أثناءها ، وأحسن جوارهم . فلو لم يكن قد ترامى إليهم خبر الصلح بين محمد وقريش لما دفعهم دافع إلى العود حرصا على الاتصال بأهلهم وعشائرهم . وأنى يكون صلح بين محمد صلى الله عليه وسلم وقريش إذ لم يسع محمد صلى الله عليه وسلم إليه ، وقد كان في مكة أقل نفرا وأضعف قوة ، وقد كان أصحابه أعجز من أن يمنعوا أنفسهم من أذى قريش ومن تعذيبهم إياهم .

- دفع حجج المستشرقين وأسباب عود المهاجرين من الحبشة :

١- **إسلام عمر** : هذه هي الحجج التي يسوقها من يقولون بصحة حديث الغرانيق ، وهي حجج واهية لا تقوم أمام التمحيص .

ونبدأ بدفع حجة المستشرق موير ، فالمسلمون الذين عادوا من الحبشة إنما دفعهم إلى العود إلى مكة سببان :

أولهما أن عمر بن الخطاب أسلم بعد هجرتهم بقليل . وقد دخل عمر في دين الله بالحمية التي كان يحاربه من قبل بها ، لم يخف إسلامه و لم يستتر ، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم في سبيله . و لم يرض عن استخفاء المسلمين وتسللهم إلى شعاب مكة يقيمون الصلاة بعيدين عن أذى قريش ، بل دأب على نضال قريش حتى صلى عند الكعبة وصلى المسلمون معه . هنالك أيقنت قريش أن ما تنال به محمدا وأصحابه من الأذى يوشك أن يثير حربا أهلية لا يعرف أحد مداها ولا على من تدور دائرتها . فقد أسلم من قبائل قريش وبيوتاتها رجال تثور لقتل أي واحد منهم قبيلته وإن كانت على غير دينه . فلا مفر إذا من الالتجاء في محاربة محمد صلى الله عليه وسلم إلى وسيلة لا يترتب عليها هذا الخطر . وإلى أن تتفق قريش على هذه الوسيلة ، هادنت المسلمين فلم تنل أحدا منهم بأذى وهذا هو ما اتصل بالمهاجرين إلى الحبشة . ودعاهم إلى التفكر في العودة إلى مكة .

٢ – ثورة الحبشـــــة :

وربما ترددوا في هذا العود لو لم يكن السبب الثاني الـــذي ثبــت عزمهم ، ذلك أن الحبشة شبت بها يومئذ على النجاشي ، كـــان دينه وكان ما أبدى من عطف على المسلمين بعض ما أذيع فيها من تهم وجهت إليه . ولقد أبدى المسلمون أحسن الأماني أن ينصـر الله النجاشي على خصومه ، لكنهم لم يكونوا ليشاركوا في هذه الثـورة وهو أجانب ، ولم يك قد مضى على مقامهم بالحبشة غير زمـــن قليل . أما وقد ترامت إليهم أنباء الهدنة بين محمد وقريش ، هدنـــة أنجت المسلمين مما كان يصيبهم من الأذى ، فخير لهم أن يدعـــوا الفتنة وراء ظهورهم وأن يلحقوا بأهليهم ، وهذا ما فعلوه كلهم أو بعضهم على أنهم ما كادوا يبلغون مكة حتى كانت قريـــش قـــد ائتمرت ما تصنع بمحمد وأصحابه ، واتفقت عشائرها وكتبوا كتابا تعاقدوا فيه على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة ، فـــلا ينكحـــوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منـــــهم . وبهـــذا الكتاب عادت الحرب العوان بين الفريقين ، ورجع الذين عادوا من الحبشة ، وذهب معهم من استطاع اللحاق بهم . وقد وجدوا هذه المرة عنتاً من قريش إذ حاولت أن تمنعهم من الهجرة .

ليس الصلح الذي يشير إليه المستشرق موير ، هو إذا الذي دعـــا المسلمين إلى العودة من بلاد الحبشة ، إنما دعاهم هذه الهدنة الـــتي حدثت على إثر إسلام عمر وحماسته في تأييد ديـــن الله . فتـــأييد حديث الغرانيق إذا بحجة الصلح تأييد غير ناهض .

٣ - الاحتجاج بالآيـــات :

قال تعالى : ((ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليـــهم شـــيئا قليـــلا)) لنرى أنه إن كان الشيطان قد ألقى في أمنية الرســـول حتى لقد كان يركن إليهم شيئا قليلا فقد ثبته الله فلم يفعل ، ولـــو أنه فعل لأذاقه الله ضعف الحياة وضعف المماة .

كذلك كتب التفسير وأسباب النـــزول جعلت لهـــذه الآيـــات موضعا غير مسألة الغرانيق .

ورأينا أيضا أن الاحتجاج بها في مسألة تتنافى مع عصمة الرسل في تبليغ رسالاتهم ، وتتنافى مع تاريخ محمـــــد كلـــه ، احتجـــاج متهافت ، بل احتجاج سقيم .

٤ - سياق سورة النجم:

ودليل آخر أقوى وأقطع ، ذلك سياق ســـورة النجـــم وعـــدم احتماله لمسألة الغرانيق . فالسياق يجري بقوله تعالى :

((لقد رأى من آيات ربه الكبرى . أفرأيتم اللات والعزى ومنـــاة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضـــيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سـلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم مـــــن ربهـــم الهـــدى)) . [1]

---

[1] – الآيات من ١٨-٢٣ من سورة النجم.

وهذا السياق صريح في أن اللات والعزى أسماء سماها المشركون هم وأباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان . فكيف يحتمل أن يجري السياق بما يأتي :

((أفر أيتم اللات والعزى . ومناه الثالثة الأخرى . تلك الغرانيق العلا . إن شفاعتهن ترتجى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة صنيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)) .

إن في هذا السياق من الفساد والاضطراب والتناقض ، ومن مدح اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وذمها في أربع آيات متعاقبة ، ما لا يسلم به عقل ولا يقول به إنسان ، ولا تبقى معه شبهة في أن حديث الغرانيق مفترى وضعه الزنادقة لغاياتهم ، وصدقه المستشرقون الذين يسيغون كل غريب وتقبل عقولهم ما لم يسيغه العقل المنطقي .

٥ – الحجة اللغوية :

وحجة أخرى ساقها المغفور له الأستاذ محمد عبده حين كتب يفند قصة الغرانيق ، تلك أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم ، وإنما ورد الغرنوق والغرنيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض ، والشاب الأبيض الجميل . ولاشيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب .

٦ – صدق محمد صلى الله عليه وسلم يأبى صحة القصة :

بقيت حجة قاطعة ، نسوقها للمستشرقين ، ولنأخذ بعقولهم ، ونبرهن لهم استحالة قصة الغرانيق هذه من حياة محمد صلى الله عليه وسلم نفسه :

فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط ، حتى سمي الأمين ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره . وكان صدقه أمرا مسلما به عند الناس جميعا ، حتى لقد سأل قريشا يوما بعد بعثه :

((أر أيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوني ؟)) فكان جوابهم : ((نعم ! أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط)) . فالرجل الذي عرف بالصدق في صلاته بالناس منذ نعومة أظفاره إلى كهولته كيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل ، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه ! هذا أمر مستحيل ، يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التي تعرف الصلابة في الحق ولا تداجي فيه لأي اعتبار . وكيف ترى بقول محمد : لو وضعت قريش الشمس في يمينه والقمر في شماله على أن يترك هذا الأمر أو يموت دونه ما فعل ، ثم يقول على الله ما لم يوح إليه ، ويقوله لينقض به أساس الدين الذي بعثه الله به هدى وبشرى للعالمين ؟ ومتى رجع إلى قريش ليمدح آلهتهم ؟ بعد عشر سنوات أو نحوها من بعثه ، وبعد أن أحتمل هو وأصحابه وآل بيته في سبيل

الرسالة من ألوان الأذى وصنوف التضحية ما احتمل ، وبعد أن أعز الله الإسلام بحمزة وعمر ، وبعد أن بدأ المسلمون يصبحون قوة بمكة ، ويمتد خبرهم إلى بلاد العرب كلها وإلى الحبشة وإلى مختلف نواحي العالم . إن القول بذلك حديث خرافة وأكذوبة ممجوجة . ولقد شعر الذين اخترعوها من الزنادقة والمستشرقين بسهولة افتضاحها ، فأرادوا سترها بقولهم : إن محمدا ما كاد يسمع كلام قريش إذ جعل لآلهتهم نصيبا في الشفاعة حتى اكبر ذلك عليه ، وحتى رجع إلى الله تائبا أول ما أمسى ببيته وجاءه جبريل فيه . لكن هذا السر أحرى أن يفضحها . فما دام الأمر قد كبر على محمد منذ سمع مقالة قريش ، فما كان أحراه أن يراجع الوحي لساعته ! وما كان أحراه أن يجري الوحي الصواب على لسانه ؟؟ وإذا فلا أصل لمسألة الغرانيق إلا الوضع والإختراع من قبل الزنادقة والمستشرقين.

** إفتراء المستشرقين على التوحيد :

وأعجب ما في جرأة هؤلاء المفترين من المستشرقين والزنادقة أنهم عرضوا للافتراء في أم مسائل الإسلام جميعا ، في التوحيد ! في المسألة التي بعث محمد لتبليغها للناس منذ اللحظة الأولى ، والتي لم يقبل فيها منذ تلك اللحظة هواده ، ولا أماله عنها ما عرضت قريش أن يعطوه ما يشاء من المال أو يجعلوه ملكا عليهم .و عرضوا ذلك عليه حين لم يكن قد اتبعه من أهل مكة إلا عدد يسير . وما كان أذى قريش لأصحابه ليجعله يرجع عن دعوة أمره ربه أن يبلغها للناس . فاختيار المستشرقين لهذه المسألة التي كانت صلابة محمد صلى الله عليه وسلم فيها غاية ما عرف عنه من الصلابة يدل على جرأة غير معقولة ، ويدل في الوقت نفسه على أن الذين مالوا إلى تصديقهم قد خدعوا فيما لا يجوز أن يخدع فيه أحد .

لا أصل إذا لمسألة الغرانيق على الإطلاق ولا صلة البتة بينها وبين عودة المسلمين من الحبشة .

● – الخلاصة :

إننا نستوضح من هذه الأقوال ونستكشف من خلال الحجج الدامغة إن كل ما يكتبه المستشرقين عن الإسلام لم يكن مقصودا به خدمة الحق والتاريخ بل إنما كانت وما تزال كتاباتهم بدافع الحقد والعداء للإسلام

وأهله ، وإن ذلك يدعو إلى ضياع الحق وتشويه الحقيقة .

وإن الذي يعنينا الآن هو الإشارة إلى الأثر السيئ الذي ترتب على انخداع كثير من كتابنا بتلك الآراء ، وأخذهم بتلك الأقوال المخالفة للواقع

وكأنها عندهم هي الصواب بعينه أو اليقين الذي لايتطرق إليــه شــك ، ولعل الكثير منهم كان يتعمد الاعتماد عليها لما فيها من الحـــط فيمـــن يتحامل عليه ، انصياعا لنــزعة الطائفية أو الخلافات المذهبية .

*** **** *** ****


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الرابـــع

* – أسرى بدر :

دخل المسلمون المدينة قبل أن يدخلها الأسارى بيوم . وبعد ذلـك فرق محمد صلى الله عليه وسلم الأسارى بين أصحابه وقال لهم :
استوصوا بهم خيرا وطفق من بعد ذلك يفكر فيما يصنع بهم :
أفيقتلهم أم يأخذ منهم الفداء ؟ إن منهم لأشداء في الحـــرب أقويـــاء في النضال ، ومن امتلأت بالحقد والضغينة نفوسهم بعد الـــذي كـــان مـــن هزيمتهم ببدر وما لحقهم من عار الأسر ، فإن هو قبل الفداء كانوا عليه حربا وألبا ، وإن هو قتلهم أثار في نفوس أهليهم من قريش ما ربما هدأ لو أنهم افتدوهم .

وظل المسلمون في تشاورهم زمنا انتهوا بعده إلى قبول الفـــــداء وفي قبولهم نزلت هذه الآية الكريمة :
((ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عـــرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم)) .[1]

*– جدال المستشرقين :

يقف غير واحد من المستشرقين عند أسرى بدر هؤلاء وعند مقتـل النضر وعقبه ويتساءلون :
أليس في ذلك ما يدل على ظمأ هذا الدين الجديد إلى الدم ظمأ لـــولاه لما قتل الرجلان ، ولكان أكرم للمسلمين بعد أن كسبوا الموقعة أن يـــودوا

---

[1] – سورة الأنفال آية ٦٧ .

الأسرى وأن يكتفوا بالفيء الذي غنموا ؟ وذلك تساؤل الذي يريد أن يثير في النفوس إشفاق لم يكن له يومئذ موضع ، ليكون له بعد ألف سنة من هذه الغزوة وما تلاها من غزوات وسيلة للنيل من الدين ومن صاحب الدين . على أن هذا التساؤل ما يلبث أن ينهار ويتداعى إذا نحن وازنا بين مقتل النضر وعقبة ، وما يجري اليوم وما سيجري دائما ما دامت الحضارة الغربية ، التي تتشح بوشاح المسيحية ، متحكمة في الأرض . فهل تراه يوازي شيئا إلى جانب ما يقع باسم قمع الثورات في بلاد يحكمها الاستعمار على كره من أهلها ! وهل تراه يوازي شيئا إلى جانب ما وقع من مجازر الحرب الكبرى ؟ ثم هل هو يوازي شيئا مما حدث أثناء الثورة الفرنسية الكبرى ، وأثناء الثورات المختلفة التي وقعت وتقع في أمم أوروبا المختلفة ؟؟ .

*- الثورة على الوثنية :

وليس ريب في أن الأمر بين محمد وأصحابه كان ثورة قوية من محمد بعثه الله ليقوم بها في وجه الوثنية والمشركين من عبادها . ثورة قامت أول أمرها بمكة ، واحتمل محمد وأصحابه من أجلها ألوان العذاب ثلاثة عشر عاما سويا . ثم انتقل المسلمون إلى المدينة وحشدوا جموعهم وقواهم بها ، وما تزال مبادىء الثورة قائمة على أشدها في نفوسهم وفي نفوس قريش جميعا . وانتقل المسلمين إلى المدينة ، وموادعتهم اليهود من أهلها ، وما قاموا له من مناوشات سبقت بدرا ، وغزوة بدر هذه ذلك كله كان سياسة الثورة ولم يكن مبادئها . كان السياسة التي قرر القائم بهذه الثورة وأصحابه أن يتبعوا الإقرار أسمى المبادىء — التي جاء الرسول بها .

وسياسة الثورة شيء ومبادئها شيء آخر . والخطة التي تتبع قد تختلف تمام الاختلاف عن الغاية المقصودة من هذه الخطة . أما وقد جعل الإسلام الأخوة أساس الحضارة الإسلامية ، فيجب أن يسلك سبله وإن اقتضى ذلك من العنف والشدة ما لا مفر منه .

ونحن نقدم للمستشرقين هدية مجزرة سان بارتملي :

وهذا الذي صنع المسلمون بأسرى بدر آية في الرحمة وفي الحسنى إلى جانب ما يقع في الثورات التي يتغنى أهلها بمعاني العدل والرحمة . وهو لاشيء إلى جانب المجازر الكثيرة التي قامت باسم المسيحية من مثل مجزرة سان بارتملي ، هذه المجزرة التي تعتبر سبة في تاريخ المسيحية لاشيء من مثلها قط في تاريخ الإسلام . هذه المجزرة التي دبرت بليل ، وقام فيها الكاثوليك يذبحون البروتستنتين في باريس وفي فرنسا غدرا وغيلة في أحط صور الغدر وأبشع صور الغيلة . فإذا قتل المسلمون اثنين من أسرى بدر الخمسين لأنهم كانوا قساة على المسلمين ، مدى الأعوام الثلاثة عشر التي احتمل المسلمون فيها صنوف الأذى بمكة ، فقد كان في ذلك من مزيد الرحمة ومن اعتبار الفائدة العاجلة ما نزلت معه الآية :

((ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم)) . [1]

---

[1] — سورة الأنفال ، آية ٦٧ .



الفصل الخامس

قصة زينب بنت جحش وكلام المستشرقين فيها

● صيحة المستشرقين في مسألة زينب بنت جحش :

في الفترة التي وقعت فيها حوادث الفصلين السابقين تـــزوج محمـــد زينب بنت حزيمة ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، ثم تـــزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة ، وزيد هذا هو الـــذي تبناه محمد وأعتقه منذ اشتراه يسار لخديجة . هاهنا يصيـــح المستشـــرقون ويصيح المبشرون :

انظروا !! لقد انقلب محمد الذي كان بمكة داعية قناعة وزهد وتوحيـــد ورغبة عن شهوات هذه الحياة الدنيا ، رجل شهوة يسيل منظر المرأة لعابه ، ولا يكفيه ثلاث نسوة في بيته ، بل يتزوج أولئك الثلاث اللائي ذكرنـــا ، ويتزوج من ثلاثا أخريات غير ريحانة . وهو لا يكفيه أن يتزوج ممـــن لا بعولة لهن ، بل هو يشغف حبا بزينب بنت جحش وهي تحت زيد بـــن حارثة مولاه ، لغير شيء إلا أنه مر ببيت زيد وهو غائب فاستقبلته زينـــب ، وكانت في ثياب تبدي محاسنها ، فوقع منها، في قلبه شيء لجمالهـــا ، فقال :

سبحان مقلب القلوب ! ثم كرر هذه العبارة ساعة انصرافه ، فسمعتها زينب ورأت في عينيه وهج الحب ، فأعجبت بنفسها وأبلغت زيـــدا مـــا سمعت فذهب من فوره إلى النبي يذكر له استعداده لتسريحها ، فقال له :

أمسك عليك زوجك واتق الله . لكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها ، وأمسك محمد عن زواجها وقلبه في شغل بها حتى نزل قوله تعالى :

((وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا))[1]

إذ ذاك تزوجها فأطفأ بزواجها لاذع حبه ومتوهج غرامه . فأي نبي هذا !! وكيف يبيح لنفسه ما حرمه على غيره ؟؟ وكيف لا يخضع للقانون الذي يقول إن الله أنزله عليه !!وكيف يخلق هذا ((الحريم)) الذي يثير في النفس ذكر الملوك المترفين بدل أن يثير فيها ذكر الأنبياء الصالحين .

ثم كيف يبلغ منه الخضوع لسلطان الحب في شأن زينب حتى يصل بمولاه زيد إلى تطليقها ثم يتزوجها من بعده . وكان ذلك محرما في الجاهلية ، فأباحه نبي المسلمين إرضاء لهواه ، واستجابة لداعي حبه .

المستشرقون وتصويرهم لزينب بنت جحش :

ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان حين يتحدثون من تاريخ محمد في هذا الموضوع ، حتى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي وهي نصف عارية أو تكاد ، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها الناطق بما يكنه من معاني الهوى ، وليذكر آخرون أنه حين فتح

[1] – سورة الأحزاب آية ٣٧ .

باب بيت زيد لعب الهواء بأستار غرفة زينب وكانت ممـــددة علـــى فراشها في ثياب نومها ، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولـع بالمرأة ومفاتنها ، فكتم ما في نفسه وإن لم يطق الصبر على ذلك طويلا !!
وأمثال هذه الصورة التي أبدعها الخيال كثير ، تـــراه في مويـــر وفي در منجم وفي واشنطن إرفنج وفي لامنس وغيرهم من المستشرقين والمبشرين .
ومما يدعو إلى أشد الأسف أن هؤلاء جميعا اعتمدوا في روايتهم على مـــا ورد في بعض كتب السيرة والكثير من الحديث ثم أقاموا على ما صـــوروا قصورا من الخيال في شأن محمد وصلته بالمرأة ، واستدلوا علـــى ذلـك بكثرة أزواجه حتى بلغن تسعا في القول الراجح ، وحتى بلغن أكثر من ذلك في بعض الروايات .

● – الأنبياء لا يخضعون لقانون :

كان في مقدورنا أن نجبه الأقوال جميعا بقولنا : فلتكن صحيحـــة ، فماذا فيها مما يطعن على عظمة محمد أو على نبوته ورسالته ؟

أن القوانين التي يجري على الناس لا سلطان لها على العظمـــاء ، فأولى ألا يكون لها سلطان على المرسلين والانبياء . ألم ير موســى عليــه السلام خلافا بين رجلين هذا من شعيته وهذا من عدوه ، فوكز الذي من عدوه فقضى عليه ، وهذا قتل محرم في غير حرب ولا شبه حرب ، وهــذا مخالف للقانون . مع ذلك لم يخضع موسى للقانون و لم يطعن ذلك في نبوته ولا في رسالته ، و لم يطعن في عظمته .

وشأن عيسى في مخالفة القانون أكبر من شأن موسى ومن شـــأن محمد ومن شأن الانبياء والمرسلين جميعا . فليس يقف أمره عند بســطه في

القوة أو الرغبة ، بل خرج بمولده وبحياته على قوانـــين الطبيعـــة وســـننها جميعـــا. تمثل لأمه مريم روح الرحمن بشرا سويا ، ليهب لها غلاما زكيـا فعجبت وقالت : أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا !! قال الرسول : إن الله يريد أن يجعله آية للناس ، فلما جاءهـــا المخـــاض قالـــت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا . وأتت به قومها تحمله ، فقالوا : لقـــد جئت شيئا فريا . فحدثهم عيسى في مهده قال : إني عبد الله ..إلى آخر ما قال .

ومهما يكن من إنكار اليهود لهذا كله ، ومن نسبتهم عيســـى إلى يوسف النجار نسبة لا يزال بعض العلماء من أمثال رينان يأخذون اليوم بها . فقد كانت عظمة عيسى ونبوته ورسالته دليل معجزة الله فيه وخرقـــه لنواميس الكون وسنن الطبيعة وقوانين الخلق من أجله . فمن عجـــب أن يدعو المستشرقون والمسيحيون المبشرون إلى الإيمان بهذا الخروج على ســنة الكون في أمر عيسى ، وأن يأخذوا محمدا بما هو دونه ، وما لايزيد على أنه سموا من الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم ، ويســـمح بـــه للملوك ورؤساء الدول الذين تقدسهم الدساتير وتجعل ذواقم مصونـة لا تمس .

المستشرقين وتصويرهم الدنيء :

كان في مقدورنا أن نجبه هذه الأقوال جميعا بهذا الرد ، وكان فيه

من غير شك ما يسقط حجة المبشرين ومن ينهجون نهجهم مـــن المستشرقين . لكنا في هذا كنا نجني على التاريخ ونجني على عظمة محمـــد

وجلال رسالته . فهو لم يكن ، كما صور هؤلاء وأولئك ، رجلا يأخذ بعقله الهوى ، وهو لم يتزوج من تزوج من نسائه بدافع مـــن الشـــهوة أو الغرام . وإذا كان بعض الكتاب المسلمين في بعض العصور قد أبـــاحوا لأنفسهم أن يقولوا هذا القول ، وأن يقدموا لخصوم الإسلام عن حسن نية هذه الحجة ، فذلك لأنهم انحدر بهم التقليد إلى المادية ، فأرادوا أن يصوروا محمدا عظيما في كل شيء ، عظيما حتى في شهوات الدنيـــا . وهـــذا تصوير خاطئ ينكره تاريخ محمد أشد إنكار ، وتأبى حياته كلها أن تقره.

رابطة محمد بزينب بنت جحش :

أما زينب بنت جحش ، وما أضفـــى بعـــض الـــرواة وأضفـــى المستشرقون والمبشرون عليها من أستار الخيال حتى جعلوها قصة غـــرام ووله ، فالتاريخ الصحيح يحكم بأنها من مفاخر محمد ، وأنه ، وهو المثـــل الكامل للإيمان ، قد طبق فيها حديثه الذي معناه :

لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقد جعـــل نفسه أول من يضرب المثل لما يضع من تشريع يمحو به تقـــاليد الجاهليـــة وعاداتها ، ويقر به النظام الجديد الذي أنزل الله هـــدى ورحمـــة للعـــالمين ويكفي لهدم كل القصة التي قرأت عنها من أساسها أن زينـــب بنـــت جحش هذه هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمـــة رســـول الله عليـــه السـلام ، وأنها ربيت بعينه وعنايته ، وأنها كانت لذلك منه بمقام البنـــت أو الأخت الصغرى وأنه كان يعرفها ويعرف أهي ذات مفاتن أم ليســـت كذلك قبل أن تتزوج زيدا . وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولـــة إلى الصبا وإلى الشباب ، وأنه هو الذي خطبها على يد زيد مولاه .

إذا عرفت ذلك تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات والأقاصيص من أنه مر ببيت زيد و لم يكن فيه ، فرأى زينب فبهره حسنها وقال سبحان مقلب القلوب !! أو أنه لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار الذي على غرفة زينب ، فألفاها في قميصها ممددة وكأنها ((شهرزاد(!))) فانقلب قلبه فجأة ونسى سوده وعائشة وحفصة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة ونسى كذلك ذكر خديجة التي كانت عائشة تقول : إنها لم تجد في نفسها غيرة من أحد من نساء النبي ما وجدت من ذكر خديجة ولو أن شيئا من حبها علق بقلبها لخطبها إلى أهلها على نفسه بدل أن يخطبها على زيد . وهذه الصلة بين زينب ومحمد ، وهذا التصوير الذي صورناها به ، لا يدعان بعدهما لتلك القصة الخيالية التي يروون أي أساس من الحق أو أي حظ في البقاء .

محمد (ص) يزوج زيد من زينب :

وماذا يثبت التاريخ أيضا ؟ يثبت أن محمد خطب ابنة عمته زينب بنت جحش على مولاه زيد بن الحارثة فأبى أخوها عبد الله بن جحش أن تكون أخته وهي قرشية هاشمية وهي فوق ذلك ابنة عمة الرسول ، تحت عبد رق اشترته خديجة ثم أعتقه محمد ، ورأى في ذلك على زينب عارا كبيرا . وكان ذلك عارا حقا على العرب كبيرا . فلم تكن بنات الأشراف الشريفات ليتزوجن من موال وإن اعتقوا . لكن محمدا يريد أن تزول مثل هذه الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبة وحدها ، وأن يدرك النلس جميعا أن لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . ((إن أكرمكم عند

الله أتقاكم)) [1]. وهو لا يرى أن يستكره لذلك امرأة من غير أهلـــه .
فلتكن زينب بنت جحش بنت عمته هي التي تحتمل هذا الخروج علـــى
تقاليد العرب ، وهذا الهدم لعاداها ، معرضة في ذلك عما يقـــول النـــاس
عنها مما تخشى سماعه ، وليكن زيد مولاه الذي تبنى ، والذي أصبح بحكم
عادات العرب وتقاليدها صاحب حق في أن يرثه كسائر أبنائه ســواء ،
هو الذي يتزوجها فيكون مستعدا للتضحية التي أعد الشـــارع الحكيـــم
للأدعياء الذين اتخذوا أبناء . وليبد محمد إصراره على أن تقبل زينــــب
ويقبل أخوها عبد الله بن جحش زيداً زوجاً لها ، ولينـــزل في ذلك قولـــه
تعـــالى : ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون
لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا))[2]

لم يبق أمام عبد الله وأخته زينب بعد نـــــزول هـــذه الآيـــة إلا
الإذعـــان ، فقالا : رضينا يا رسول الله . وبنى زيد بزينب بعد أن ســـاق
النبي إليها عنه مهرها . فلما سارت زينب إلى زوجها لم يسلس له قيادهـــا
ولا لان إباؤها ، بل جعلت تؤذي زيدا وتفخر عليه بنسبها وبأنها لم يجـــر
عليها رق . واشتكى زيد إلى النبي غير مرة من ســـوء معاملتـــها إيـــاه ،
وأستأذنه غير مرة في تطليقها ، فكان النبي يجيبه :
((أمسك عليك زوجك واتق الله)) لكن زيدا لم يطق معاشـــرة زينـــب
وإباءها عليه طويلا فطلقها .

---

[1] — سورة النساء آية ٣

[2] — سورة النساء آية ١٢٩ .

وكأن الشارع الحكيم قد أراد أن يبطل ما كانت تدين به العرب من التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابها ، ومن إعطاء الدعى جميع حقوق الابن ، ومن إجرائهم عليه أحكامه حتى في الميراث وحرمة النسب ولا يجعل للمتبنى واللصق إلا حق المولى والأخ في الدين فنزله قوله تعالى

((وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل))[1] ومعنى هذا أنه يجوز للمدعي أن يتزوج ممن كانت زوجا لمن ادعاه ويجوز للمتبنى أن يتزوج ممن كانت زوجا لمتبناه . ولكن كيف السبيل إلى تنفيذ هذا ؟ ومن من العرب يستطيعه وينقض به تقاليد الأجيال السالفة جميعا ؟ إن محمدا نفسه ، على قوة عزيمته وعميق إدراكه لحكمة الله في أمره ، قد وجد على نفسه الفضاضة في تنفيذ هذا الحكم بأن يتزوج زينب بعد تطليق زيد إياها ، ودار بخاطره ما يمكن أن يقول الناس في خرقه هذه العادة القديمة المتأصلة في نفوس العرب ، وذلك ما يريده تعالى في قوله :

((وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه))[2].

كيف تزوج محمد (ص) من زينب :

إنّ محمدا القدوة في كل ما أمر الله به وما ألقى عليه أن يبلغه للناس ، فلا يخشى ما يقول الناس في تزوجه من زوج زيد مولاه ،

---

[1] – سورة الأحزاب آية ٤ .

[2] – سورة الاحزاب آية ٣٧

فخشية الناس ليست شيئا إلى جانب خشية الله بتنفيذ أمره ، وليتزوج من زينب ليكون قدوة فيما أبطل الشارع الحكيم من الحقوق المقررة للتبني ، والادعاء . وفي ذلك قوله تعالى :

((فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)) [1]

هذه رواية التاريخ الصحيح في أمر زينب بنت جحش وزواج محمد منها . فهي ابنة عمته يراها ويعرف مبلغ جمالها قبل أن تتزوج زيدا ، وهو الذي خطبها على زيد ، وهو كان يراها بعد أن تزوجت زيدا أن لم يكن الحجاب معروفا يومئذ . على أنه كان من شأنها ، بحكم صلة القرابة من ناحية ، وأنها زوج دعيه زيد من ناحية أخرى ، أن تتصل به لمصالحها ولتكرار شكوى زيد منها .

زينب بنت جحش وانهيار آراء المستشرقين :

نزلت هذه الأحكام جميعاً، فأيدها ما حصل من زواج زيد لزينب وتطليقه إياها وزواج محمد منها بعد ذلك ، هذه الأحكام التي ترفع المعتق إلى مكانة الحر الشريف ، والتي تبطل حقوق الأدعياء وتقضي عليها بصورة عملية لا محل للبس ولا لتأويل بعدها . أفيبقى بعد ذلك أثر لهذه الأقاصيص التي يكررها المستشرقون والمبشرون ، ويرددها موير وإرفنج وسبرنجر وفيل ودرمنجم ولامنس وغيرهم ممن تناولوا كتابة حياة محمد ؟! ألا إنها شهوة التبشير المكشوف تارة والتبشير باسم العلم أخرى ، والخصومة القديمة للإسلام خصومة تأصلت في النفوس منذ الحروب

---

(1) — سورة الأحزاب آية ٣٧ .

الصليبية ، وهي التي تملي على هؤلاء جميعا ما يكتبون وتجعلهم في أمر أزواج النبي ، وفي أمر زواجه من زينب بنت جحش خاصة يتجنون على التاريخ ويتلمسون أضعف الروايات فيه مما دس عليه ونسب إليه .

المرأة ومكانتها في تشريع وحياة محمد (ص) :

ولو أن ما ذكروا كان صحيحا لكان في مقدورنا أن نجبهه بأن العظمة لا تخضع لقانون ، وبأن موسى وعيسى ويونس من قبل ، قد سموا فوق نواميس الطبيعة وسنن الاجتماع ، بعضهم بمولده ، وبعضهم في حياته ، فلم يطعن ذلك في عظمتهم . لكن محمدا كان يضع سنن الاجتماع بوحي ربه ، وكان ينفذها بأمر به ، وكان بذلك المثل الأسمى ، والأسوة الحسنة ، في تنفيذ ما أمر به . أفكان أولئك المبشرون يريدونه على أن يطلق أزواجه فلا يزيد على الأربع كما شرع للمسلمين من بعد زواجه منهن جميعا ؟ وهل كانوا يومئذ يعفونه من نقدهم ؟ على أن معاملة محمد لأزواجه معاملة بلغت من السمو والرفعة والاحترام حد التصور البشري. وسمو محمد (ص) بمكانة المرأة سيكون المثل الناطق على أنه لم يحترم المرأة أحد ما احترمها محمد ، ولم يسم بها إلى المكان اللائق بها ما سما محمد صلى الله عليه وسلم .

المستشرق إيرفنج واتهامه محمد (ص) :

واشنجتون إيرفنج من الكتاب الذين فاخرت بهم الولايات المتحدة الأمريكية غيرها من الأمم في القرن التاسع عشر المسيحي . وقد كتب سيرة النبي العربي صلى الله عليه وسلم يقول إيرفنج :

((أية عقيدة يمكن ان يصورها صاحبها أدق من هذا التصوير ليدفع بها للغزو وطائفة من الجنود الجهلاء الأغرار دفعا وحشيا ، إذ يقنعهم عن يقين بالفيء لمن يبقى ، والجنة لمن يموت ! ولقد جعلت هذه العقيدة جند المسلمين لا يكاد يغلبه غالب ، لكنها احتوت كذلك السم الذي يقضي على سلطانه . فمنذ اللحظة التي كف فيها خفاء النبي عن أن يكونوا غزاة فاتحين ، ومنذ أغمدوا سيوفهم بصفة نهائية بدأت العقيدة الجبرية تعمل عملها الهدام ، فقد أرهف السلم أعصاب المسلمين كما أرهفها المتاع المادي الذي أباحه القرآن ، والذي يفصل فصلا حاسما بين مبادئه ودين المسيح دين الطهر والايثار . فصار المسلم ينظر إلى ما يصيبه من بأساء على أنها بعض ما قدر الله عليه وما لا مفر منه ، وما يجب الإذعان له واحتماله ، ما دام كل جهد وكل حكمة إنسانية عبثا لانفع له . ولم تكن قاعدة ((أعن نفسك يعنك الله)) مما يرى أتباع محمد تنفيذه ، بل كان عكسها نصيبهم . من ثم محق الصليب الهلال . وبقاء الهلال إلى اليوم في أوروبا حيث كان يوما ما بالغا غاية القوة إنما يرجع إلى اختيار الدول المسيحية الكبرى ، أو يرجع بالأحرى إلى تنافسها . ولعل الهلال باق ليكون دليلا جديدا على أن ((من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ)).

خطأ المستشرق إيرفنج في معتقده :

هذا كلام إيرفنج وهو كلام رجل لم تمكنه دراسته من إدراك روح الإسلام وأساس حضارته ، فذهب هذا المذهب الخاطئ في تأويل مسألة القضاء والقدر وكتاب الأجل . ولعل له من العذر أنه وقف في بعض الكتب الإسلامية على ما جعله يذهب هذا المذهب : فأما القرآن فلا تقاس إلى جانب ما ورد فيه عبارة ((أعن نفسك يعنك الله)) ، من حيث القوة في الدعوة إلى التعويل على الذات ، وأن الناس مجزيون بأعمالهم وبالنية التي تصدر هذه الأعمال عنها قال تعالى :

((قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها)) .[1]

وقال تعالى : ((من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تز وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا))[2]

وقال : ((من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتيه منها وما له في الآخرة من نصيب)) [3]

وقال : ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))[4]

ومثل هذا في القرآن كثير . وهو صريح في الدلالة على أن ارادة الإنسان وعمله هما مصدر مثوبته وعقابه . وقد حض الله الناس أن يسعو

---

(١) — سورة يونس آية ١٠٨ .

(٢) — سورة الإسراء آية ١٥

(٣) — سورة الشورى آية ٢٠ .

(٤) — سورة الرعد آية ١١

في مناكب الأرض وأن يأكلوا من رزقه وأمرهم بالجهاد في سبيله بآيات قوية غاية القوة . وهذا لا يتفق وما يقوله إيرفنج وما يقول بعض رجال الغرب من أن الإسلام دين تواكل وقعود ، وأنه يعلم أهله أنهم لا يملكون لأنفسهم بعملهم نفعا ولا ضرا ، فلا فائدة لهم من السعي والإرادة ، لأن السعي والارادة معلقان . بمشيئة الله ، فإذا سعينا وكان مقدرا ألا يثمر سعينا لم يثمر ، وإذا لم نسع وكان مقدرا أن نصبح؛ أغنياء أو أقوياء أو مؤمنين أصبحنا كذلك من غير سعي ولا عمل . فالآيات التي قدمنا تناقض هذا الرأي وتنفيه .

اعتماد المستشرق إيرفنج على بعض الآيات القرآنية :

ويعتمد إيرفنج وغيره من المستشرقين الذين ينسبون تواكل المسلمين في هذه العصور الأخيرة إلى دينهم على ما جاء في القرآن من آيات القدر ، كقوله تعالى :

((وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا))[1]

وكقوله : ((ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) .[2]

وكقوله : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)) [3]

وكقوله : ((قل لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)) [4]

---

(1) – سورة آل عمران آية ١٤٥ .

(2) – سورة الأعراف آية ٣٤ .

(3) – سورة الحديد آية ٢٢ .

(٤) – سورة التوبة ، آية٥١ .

الرد على إقامه وإدحاض مزاعمه :

إن يكون ذلك ما يعتمد عليه فقد فاته معنى هذه الآيات وأمثالها وما تصوره من صلة وثيقة بين العبد وربه ، ودعاه ذلك إلى الظن بأن الإسلام يدعو إلى التواكل مع أنه الدين الذي يدعو إلى الجهاد وإلى الاستشهاد وإلى الإباء والأنفة ، كما يقيم حضارته على أساس من الأخوة والرحمة .

والواقع أن هذه الآيات وما جرى مجراها تصور حقيقة علمية قررتها كثرة فلاسفة الغرب وعلمائه وأطلقوا عليها مذهب الجبرية كذلك ونسبوا الجبر فيها إلى سنة الكون ومجموع الحياة فيه بدل أن ينسبوها إلى الله وعلمه وقدرته . وهذا المذهب الذي تقره كثرة فلاسفة الغرب أقل سعة وتسامحا وانطباقا على خير الجماعة الإنسانية من المذهب الفلسفي الذي يستخلص من القرآن الكريم .

وهذه الجبرية العلمية تذهب إلى أن ما لنا من اختيار في الحياة إنما هو اختيار نسبي ضئيل القدر وأن القول بهذا الاختيار النسبي يرجع إلى ضرورات الحياة الاجتماعية من ناحية علمية أكثر مما يرجع إلى حقيقة علمية أو فلسفية . فلو لم يتقرر مذهب الاختيار لتعذر على الجماعة أن تجد أساسا تقيم عليه تشريعها وحدودها ، وتنظم بذلك حياتها ، وتفرض به على كل إنسان جزاء تصرفاته جزاء جنائيا أو مدنيا .

هذا مع أن المذهب الجبري في الغرب لاتؤيده في السعي والعمـــل آيات كالتي تلوت من آيات القرآن عن تبعة الإنسان عـــن عملــه ((**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى**)).

أفلا ينهض هذا وحده دليلا على تحامل المستشرقين ومنهم إيرفنج الذين يزعمون أن جبرية الإسلام قد أدت إلى تدهور الأمم الآخذة به ؟؟ بل إن الجبرية الإسلامية لأكثر حضا على السعي إلى الخير والفضل وإلى ابتغاء الرزق من الجبرية الغربية . فكلتاهما متفقة على أن للكون ســــننا لا تحويل لها ولا تبديل ، وأن ما في الكون جميعا خاضع لهذه الســـنن ،وأن الإنسان خاضع لها خضوع سائر ما في الكون. لكن الجبرية الغربية تخضـع المرء لبيئته ووراثته خضوع إذعان لامحيص عنه ولا مفر منه وتجعــــل إرادة الإنسان بعض ما يخضع لبيئته ، فلا سبيل له لذلك إلى أن يغير نفسه . فأما القرآن فيدعو إرادة كل فرد لتتوجه بحكم العقل إلى ناحية الخير ، ويذكـر لهم أنه إذا كان قد قدر لهم الخير فيما كسبت أيديهم ، وأنهم لا ينــــالون هذا الخير اعتباطا من غير سعي .

ويقول تعالى : ((**إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**)) [1] خفي مقدورهم إذا أن يفكروا وأن يتدبروا بعد أن هداهم الله بكتبــــه إلى الواجب عليهم ، وبعد أن دلهم أنبياؤه ورسله على طريق الحق ، وبعـد أن دعوا إلى النظر في الكون وتدبر سننه ومشيئة الله فيه . ومن يؤمن بهـــذا ، ومن يوجه نفسه وجهته ، فلن يصيبه إلا ما كتب الله عليه . فإذا كان قد كتب عليه أن يموت في سبيل الحق أو الخير الذي أمر الله به فلا خــــوف

---

(1) - سورة الرعد آية ١١ .

عليه ، وهو وأمثاله أحياء عند ربهم يرزقون . أية دعـــــوة إلى إقــدام وإلى السعي وإلى الإرادة كهذه الدعوة ؟ وأيـــن فيــها مــا يزعــم إيرفنــج والمستشرقون من تواكل ؟!

التواكل ليس من التوكل على الله في شيء . فالتوكل على الله لا يكــون بقعود المرء والتخلف عن أمر ربه ، بل بالعمل الجدي لما أمر به . وذلك قوله تعالى :((**فإذا عزمت فتوكل على الله**)) .

***   ****   ***   ****

الفصـــل الســـادس

ما قاله المبشر غاردنر :

((لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المســـلمين ، ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي ، والحروب الصليبيـــة لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام)) .[1]

ولكن إذا كان غاردنر قد تحدث بصراحة عن أهداف الحـــروب الصليبية ، وأعلن حسرته لفشلها ، فإن الأب اليسوعي ميلـــيز MillieZ، لا يعترف بهذا الفشل ، بل على العكس فهو يعلن أن الحروب الصليبية على الإسلام ، لازالت مستمرة وإن بشكل هادئ ، إذ قال :

((إن الحروب الصليبية الهادئة ، التي بدأها مبشرونا في القـــرن الســـابع عشر، لا تزال مستمرة إلى أيامنا)) [2]

القرآن والإنجيل في الميزان :

ويزعم هذا المبشر غاردنر والأب اليسوعي ميليز أن المسيحية تدعـــو إلى الطهر والإيثار على نقيض ما يتقولوه عن الإسلام . ولست أريـــد أن أوازن بين الإسلام والمسيحية في هذه المسألة ، لأنهما فيها متفقـــان غـــير مختلفين . وكثيرا ما تجر الموازنة إلى جدل وتنابز لاحـــيز للمســـيحية ولا للإسلام فيه . لكني ألاحظ ، وأقف عند الملاحظة ، أن بين سيرة عيســـى عليه السلام وما ينسب إلى المسيحية ، من دعوة إلى الرواقية والإمعـــان في

---

(1) – التبشير والاستعمار : ص ١١٥

(2) – المرجع نفسه ص ١٢٧

الزهد ، اختلافا بينا . فلم يكن المسيح رواقيا بل كانت أولى معجزاتـه أن أحال الماء خمرا في عرس ((قانا الجليل)) حيث كان مدعوا ، وحيث أراد أن لايحرم الناس الخمر بعد نفاذها . وهو لم يكن يأبى دعوة الفريسيين إلى مآدبهم الفخمة ولا كان يأبى على الناس أن يستمتعوا بأنعم الله . وسيرة محمد في ذلك أشد إمعانا في قصد السبيل . صحيح أن عيسى كان يدعو الأغنياء إلى البر بالفقراء ومحبتهم من غير من . والقرآن في هذا وفي الدعوة إليه أبلغ ما عرف البشر .

وقد خاب الصليبيون بانتزاع بيت المقدس والقدس من أيدي المسلمين لأن الإسلام لم يأخذ بالسيف ولن يؤخذ بالسيف كما تقول آية الإنجيل ((من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ)) .

ولكن الإسلام استولى على العقول والقلوب والضمائر بقوة سلطانه .

وتعاقبت على الإسلام دول حكمتها وقهرتها وتحكمت فيها ، فلم تغير ذلك من إسلامها وإيمانها . وما تزال أوروبا اليوم تحكم الشعوب الإسلامية وتتحكم فيها ، فلن يغير ذلك من إيمانها بالله شيئا . فأما الذين يأخذون المسلمين اليوم بالسيف فمصيرهم كي تصدق عليهم كلمة الإنجيل ، أن يؤخذوا بالسيف جزاء وفاقا .

**** *** **** ***

إتهام المستشرقين الإسلام بالبدع

إن الإسلام منذ نشوءه كانت دعوته صريحة وصادقة ، دعـــوة إلى استخدام العقل وجميع الحواس الظاهرية والباطنية ليس فيه من الخرافـــات والاوهام ، فهو دين الصراط المستقيم ، ودين الجهاد في سبيل الحق وديـــن الضعفاء والمحرومين ، ودين العدالة الاجتماعية ، وليس ديـــن الخـــوارق والأوهام ، كما يدعي المستشرقين .

*** ونستميحك عذرا عزيزي القارىء بأن تمعن النظر بما جاء في كتاب ((نظراتِ حديثة في الكتاب المقدس)) للواعظ فوزدك ، مايلي :

((روى غريغوريوس الكبير ، بابا روما واحد الأربعين المقدمـين في الكنيسة الغربية ، أن راهبة أكلت خســة دون أن ترســم إشـــارة الصليب فابتلعت شيطانا ، وعندما تقدم قديس وأمره بـــالخروج منها ، أجابه الشيطان ليس اللوم علي فإنني كنت جالســـا علـــى الخسة ، وإذا أكلت السيدة الخسة دون رســـم إشـــارة الصليـــب ابتلعتني معها)) [1]

[1] — نظرات حديثة في الكتاب المقدس : ص ١٥١ .



الباب السادس

حياة محمد صلى الله عليه وسلم

وثورة شهيد كربلاء الحسين(ع)



الفصـــل الأول

حياة محمد صلى الله عليه وسلم وسموها :

هذا الروح السامي في تسامحه هو الذي يجب أن يسود العــالم إذا أريد.أن تستقر في العالم كلمة السلام ليسعد الناس به ، وهذا الروح هــو الذي يجعل كل دراسة لحياة من أوحى الله هذا الكلام إليه ، دراسة علمية خالصة لوجه العلم وحده ، جديرة بأن تجلو أمام العلم من المسائل النفسـية والروحية ما يهدي الإنسانية طريقها إلى الحضارة الجديدة التي تلتمسها .. وكل تعمق في هذه الدراسة يكشف عن أسرار كثيرة ظن الناس زمنــا ، أن لاسبيل إلى تعليلها تعليلا علميا ، ثم إذا مباحث علم النفس تفسـرها وتجلوها واضحة للمتعقلين . فحياة محمد صلى الله عليه وسلم حياة إنسانية بلغت من السمو غاية ما يستطيع إنسان أن يبلغ ، وكانت أسوة حســنة لمن هداه القدر أن يحاول بلوغ الكمال الإنساني من طريق الايمان والعمــل الصالح. أي سمو في الحياة كهذا السمو الذي جعل حياة محمد صلـــى الله عليه وسلم قبل الرسالة مضرب المثل في الصدق والكرامة والأمانة ، كمــا كانت بعد الرسالة كلها التضحية في سبيل الله وفي سبيل الحق الذي بعثـه الله به ، تضحية استهدفت حياته من جرائها للموت مرات ، فلم يصـــده عنه أن أغراه قومه ، وهو في الذروة منهم حسبا ونسبا ، بالمال وبـــالملك وبكل المغريات ! بلغت هذه الحياة الإنسانية من السمو ومن القوة مـــا لم تبلغه حياة غيرها ، وبلغت هذا السمو في نواحي الحياة جميعا . وما بـــالك

بحياة إنسانية اتصلت بحياة الكون من أزله إلى أبــده ، واتصلــت بخــالق الكون بفضل منه ومغفرة ! ولولا هذا الاتصال ، ولولا صدق محمــد صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة ربه ، لرأينا الحياة على كر الدهــور تنفي مما قال شيئا . لكن ألفا وثلثمائة وخمسين سنة انقضت ومــا يــزال بلاغ محمد (ص) عن ربه آية الحق والهدى . ومن قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانت النبوات تتواتر والرسل يتتابعون منذ كل قومه أنهــم ضلــوا ويردهم إلى دين الحق ولايقول أحدهم إنه أرسل للناس كافة أو إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فيقولها فتصدق القــرون كلامه ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة للعالمين .

***   ****   ***   ****

الفصل الثانـــــي

ثورة الحسين

حينما نستعرض أدعية الحسين (ع) وخصوصا دعاء يوم عرفــة نجد فيه كل عناصر العرفان ونجد فيه النكران للذات والذوبان ونقــف هنا عند بعض الجمل من دعاء يوم عرفة حيث يقول (ع) :

((الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ، ولا لعطائه مانع ... فــلا إلــه غيره ، ولاشيء يعدله وليس كمثله شيء وهو السميع البصـــير... لم تشهدني خلقك ، ولم تجعل إلى شيئا من أمري ... أوجبت على حجتك بأن ألهمتني معرفتك اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك ... اللـــهم في نفسي فذللني ، وفي أعين الناس فعظمني ... يا صاحبي في وحـــدتي ...يا من لا يعلم ما يعلمه إلا هو ... اللهم إنك أقرب مـــن دعـــي وأسرع من أ جاب

وأسمع من سئل ... ليس كمثلك مسؤول ولا سواك مأمول)) .

و للعترة الطاهرة صفات ومواصفات يحددها ابن خلدون :

((بالعدالة الجامعة والامتناع عن ارتكاب الذنوب ، والعلم ومعرفــة النوازل والأحكام والشجاعة والنجدة)) .

وهذه فاطمة الزهراء التي (تقدست صورتها في الإسلام كمـــا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء) حسب وصف عباس محمـــود العقاد والتي تمحورت حولها شجرة أهل البيت ، وبها حصرت ســـلالة الرسول وهي (بضعة منه) .

وهذا الحسين رضوان الله عليه فإنه بدا قيادة معركة الإصـــلاح والتصديق للظلم والظالمين . ولم تكن معركة كربلاء من أجـل قضيـة عائلية ولامن أجل جاه أو حكم أو سلطة زمنية . فحســـبه ونسـبه والتماؤه إلى بيت النبوة أعلى وأشرف من موقع الحكم . ولم تكن هـذه المعركة من أجل جزء أو فئة من المسلمين . بل كانت من أجـل كافـة المسلمين والإنسانية .

فيجب على كافة المسلمين ان تحيي ذكرى عاشوراء . تحييها مـن أجل إحداث التغيير في واقعنا المتردي كما فعله وأراده الحسين رضوان الله عليه . في الممارسات والسلوكيات والمعاملة . ومن ثم الارتقاء بها إلى المستوى المطلوب . من أجل أن تتكامل القيم والأخلاق . لأن مدرسة ونهج سيدنا الحسين هي التضحية ونكران الذات واحترام الإنسان لأخيه الإنسان وصون حقوقه . وشيء آخر وهو اننا عندما نقيم احتفالاتنـــا بذكرى استشهاد سيدنا الإمام الحسين ليس من أجل البكـــاء .. وإن كان لهول المصيبة والمأساة التي أصابت آل البيت دورهـــا في إثـارة العاطفة . وما يبرر البكاء . ولكن عندما نبكي الحسين لابـــد مـن أن تكون دموعنا دموع الحرية والانعتاق من العبودية إلا لله عز وجل .

هذه ثورة الحسين في مقولته المشهورة : ((إن كان دين محمـد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني)).

ويقول الدكتور محمود عكام :

((أيها الاخوة : الإنسان من غير ولاء ليس إنسان والإنسان من غير تعلق القلب لا يمكن أن يعد في عالم الإنسان إنسانا ، لمن الولاء ، لمن قلبك ، وبمن يتعلق قلبك ؟ أمامك التاريخ لكي تختار ، وكنت مرة أقول : إن حروف التاريخ هي نفسها حروف الاختيار فأنت تختار وأمامك التاريخ :

أتختار الحسين أم يزيد

أتختار عليا أم معاوية

أتختار المصطفى أم من وقفوا بوجهه ونصبوا له العداء

أتختار فاطمة أم هند

قل لي بربك ولا أريد والله أن أوقد جذوة عاطفية على حساب تفكير جاد ، لكني أريد أن أسأل وأريد أن يطرح المسلمون التساؤل فيما بينهم ، انت صاحب ولاء أم أنت تابع لضرورة ولاء ، لمن الولاء ؟)) .[1]

(١) – جزء من المحاضرة التي ألقاها الدكتور محمود عكام (استاذ في كليتي الحقوق والشريعة الإسلامية في جامعة حلب) بمناسبة عاشوراء / ٥ محرم ١٤١٨ ه في المدرسة الحسنية بدمشق .

ملاحظة : هذا الجزء مأخوذ من محاضرة في مجلة الثقافة الإسلامية – العدد الثالث والسبعون – ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

*- الخاتمـــــــــــة :

إن التاريخ سجل الشعوب في تطورها الزماني والحضاري يرسم في صفحاته ما خطه فيه القادة والشعوب وهم يتقلبون بين المد والجــزر ، بين الهزيمة والنصر ، ولهذا كان التاريخ فـــاعلا ومؤثـــرا في حيـــاة الشعوب كتراث إذ تجد فيه الأمم إيجابياتهـــا وســلبياتها انتصاراتهـــا وهزائمها وتتعلم من دروسه كيف تتجنب المزالق والمـــهالك وكيـــف تخطو نحو النصر . ولن يكون التاريخ فاعلا إلا بقيادة حكيمة تستطيع ان تستنقذ الشعوب من الحضيض وتنشلهم من مهاوي الظلم وعبوديـة المتسلطين وجور المستكبرين

وقد كان من أعظم هؤلاء الذين استطاعوا إنقاذ الإنسانية عبر التـــاريخ الأنبياء فكلما اضطرب ميزان العدالة الاجتماعية ليصبح على أيـــدي الفراعنة ظلما واستعبادا كانت الإرادة الإلهية تتنـــزل بصورة إرســـال الأنبياء والرسل ليصححوا الأخطـــاء ويـــهدوا الحيـــارى ويرحمـــوا المستضعفين ((ثم أرسلنا رسلنا تترى)) . وإذا كان تاريخ كل أمة هو عنوان حضارتها ورقيها وسجل مآثرها وتقدمها. لهذا فإن الاســـتعمار كان يركز دائما على طمس معالم ذلك التاريخ ليفصل بين الأمم وبـين عوامل قوتها ولتظل أمما جاهلة بلا تاريخ ولا تراث بلا قيم ولا قـــادة . بلا حرية ولا كرامة ولا تقدم لأن التاريخ عندئذ يوازي هذه المفـــاهيم بل ويعمل على إحيائها في الأمة .

الفهـــــرس



هذا الكتاب

الثقافة تعتبر المصطلح العام والجدل ما يزال يشغل العالم العربي والإسلامي بل والعالم أجمع حول المسألة الثقافية من زاوية ما تكون عليه من تنوع وخصوصية، فثمة من يذهب إلى أن الثقافة الإنسانية واحدة لا تتجزأ وهي تعم البشر جميعاً.

فيما يذهب البعض الآخر إلى خصوصية ثقافة مجتمع وفئة وأمة.

وهناك في العالم العربي والإسلامي من يتبنى الحالة المنطلقة من مفهوم (المثاقفة) الذي يعني به الإحتفاظ بالخصوصية والإنفتاح على ثقافة الآخرين.

ولكن من يبني الإنسان ويصوغه؟ نقول:

(الثقافة مصنع يصنع الإنسان)، وإذا توفر الإنسان أمكن للنهضة أن تنطلق ونقول أيضاً: (إذا صنعنا الإنسان فإن وطننا ينمو ويتكامل)، وإذ يتضح دور الثقافة والإنسان العربي الذي تبنيه، فإن السؤال الأساس يبقى معلقاً على معرفة ماهية هذه الثقافة والمرتكز الذي تقوم عليه.

إذن التوحيد هو مرتكز الثقافة المنشودة وماهيتها والإسلام هويتها، على هذا المنوال نؤسس خصوصيتنا في المسألة الثقافية عندما نطرح موضوع الثقافة الإسلامية كمصنع لإعداد وبناء الإنسان القادر على إيجاد النهضة.